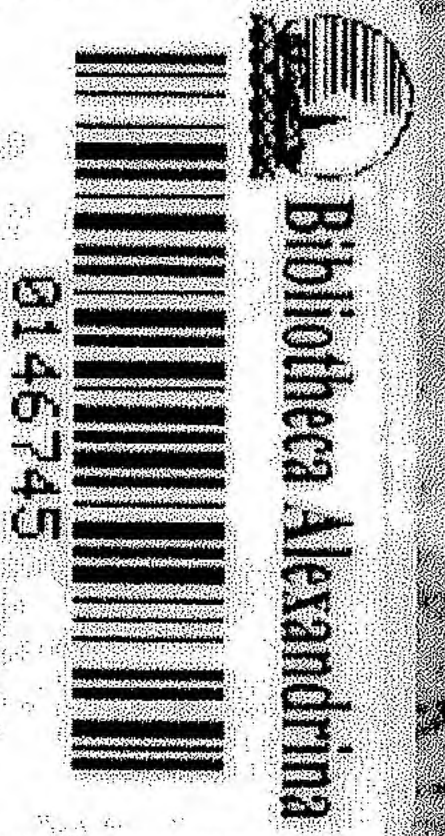


اُجَاجَاتَا كُرَيْسِي

بِجَمَاتِ اللُّصَّانِ



مَلِكَةُ بَيْتِ اللُّصَّانِ
بَيْرُوت - لُبْنَان

بصمات الأصابع

أجاثا كرسيتي

بسمات اللوحات

المكتبة الثقافية

بيروت - لبنان

لا زلت اذكر تلك الليلة الرهيبة ، التي اكتشفت فيها جثتا القتيلين ، وهي ليلة شديدة القَيْظ من شهر يونيه لعدة أعوام خلت .. فقد اقترن ذلك الحادث المروع بمأساة أخرى لا تقل هولاً .. إذ بينما كانت ترتكب في نيويورك هذه الجريمة المزدوجة الفظيعة ، كانت الباخرة العظيمة (أو كسجين) تفرق تجاه ساحل فلوريدا وتجر معها الى اليم مئات من ركايا المنكودين .

كنت وقتئذ اعمل سكرتيراً خاصاً لثاتشر كولت المدير العام لبوليس نيويورك .. وفي تلك الليلة جلست في مكتبه بإدارة الشرطة لأتم كتابة التقرير الذي يريد تقديمه في مؤتمر رؤساء البوليس المزمع عقده في الغداة بمدينة سيراكوزا ، وقد ران علينا صمت ثقيل زاده القَيْظ الحائق وطأة ، صمت لا يعكسه سوى دقات آلي الكتابة الرتيبة المملة ..

وما كدت أفرغ من عملي واتنفس الصعداء ، حتى فتح الباب وتسلسل منه الكابتن هنري ، السكرتير العسكري للرئيس ، وقدم نحوه قائلاً :
- معذرة يا سيدي ، فقد تلقيت الآن نبأ تليفونيا من أحد رجالنا عن اكتشاف جثته بزورق صغير في ايست ريفر .
- أهمها الاثنين من رجال العصابات ؟

- كلا .. فاحدى الضحيتين امرأة شابة .. أما رفيقها في هذا المصير
التمس فيرتدي ثياب القساوسة .
- يا للشيطان ! انها جريمة قتل اذن .

وأغمض كولت عينيه وأسترق في التفكير ، فأدركت ان التردد يعتمل في نفسه ، إذ كان على وشك الرحيل في أول اجازة بعد عامين من العمل المتواصل المرهق ، ويزمغ أن يقضي شهراً على ساحل البحر ، على أثر انتهاء أعمال المؤتمر .

وأخيراً ندّ عن صدره تنهد عميق ، وما لبث ان نظر الى مبتسماً وهو يقول :

— أخشى يا عزيزي قوني ان تضطر الى وداع اجازتك ، مثلي .

فلم أزد على ان تنهدت بدوري حسرة بينما استطرد كولت يسأل الكابتن هنري :

— كيف اكتشفت الجثتان ؟

— يبدو ان زورقاً بخارياً كان يعبر النهر في الظلام فارتطم بهذا القارب ثم لم يلبث قائد الزورق ان راح يستغيث بصوت عال فسمعته إحدى سفن الداورية واسرعت نحوه حيث وجدت القارب بغير قائد، والجثتين في قاعة، وقد سحبته إلى الشاطئ حيث يرسو الآن أمام معرض الجثث الجديد بمستشفى بلفي .

وبعد أن املى على كولت برقية الى المؤتمر يمتذر فيها عن الحضور تناول قبعته وأشار الي ان أتبعه ، وهو يقول للكابتن :

— سوف يبلغك مستر أبوت تعليماتي تلفونياً .

ولم تمض لحظة حتى كانت سيارة البوليس تنهب بنا الأرض نهياً حتى بلغنا مستشفى بلفي فهبط منها كولت وسار نحو الشاطئ فتبعته وأنا أتأمل سطح النهر بأمواجه المتراقصة المتألقة وهي تعكس الأضواء المنتشرة على الضفتين .

وتقدم أحد رجال الشرطة نحوها ، فأمره الرئيس ان يقص علينا تفاصيل الحادث فقال : كان ذلك منذ نصف ساعة تقريباً ، فبينما كان فق يدعى قويسل وصديقه له يتنزهان بزورقهما البخاري إذ ارتطما بقارب صغير يدفعه التيار ولا يقوده أحد . وما ان لفت الفتاة نظرة الى قاع القارب حتى انبعثت منها صيحات الاستغاثة وسقطت مغشياً عليها ، على حين ظل رفيقها يهذي كمن به مس من الجنون حتى أدركته سفينة الداورية وقادت الزورق والقارب الى الشاطئ .

— وابن هذان العاشقان ؟

— كانت حالة الفتاة تدعو الى العناية فعملت إلى المستشفى ، وهي الآن هناك مع صديقها في حراسة أحد الزملاء .

فاشعل كولات غليونيه وطلب الى الشرطي ان يقوده الى القارب ، ومن ثم مضينا الى الشاطئ حيث تبينا في الظلام زورقا أحمر اللون هو « زورق الأحلام » الذي كان يستقله قويسل الصغير وصديقه ، وإلى جواره سفينة البوليس الكبيرة .

واشعل كولات مصباحه الكهربائي وهبط الدرج الحجري المؤدي الى الماء ، وعندئذ بدأ لنا منظر بشع مروع ، هو منظر الجثتين المتجاورتين في قاع قارب صغير مطلي باللون الأخضر .

كان الرجل قصير القامة يميل الى البدانة ولا تبدو عليه أنه جاوز الثلاثين من العمر ، وكان وجهه الحليق مسديراً وعيناه مفتوحتين تنبضان بالحياة ، وفي جبهته العريضة ثقب مستدير سالت منه الدماء على وجنتيه وشعره الأشقر الغزير وبنيقته البيضاء الناصعة وصديريته السوداء الكهنوتية والى جواره رقدت المرأة كأنها مستغرقة في نوم عميق . وكانت في مقبل العمر رائعة الجمال ، ذات غداثر جميلة كستنائية تحيط بها شرائط من الحرير الأزرق ، وكانت تلوث ثوبها الحريري الأزرق ، بقمة كبيرة من الدماء تحت

الثدي الأيسر تم على ان الرصاصة القاتلة قد أصابت القلب مباشرة ، ولم نلاحظ ذلك لأول وهلة ، إذ صدمنا المنظر ببشاعته ، فكأننا لم يرو ظمًا القاتل ان تقضي رصاصة واحدة على ضحيته : فتناول سلاحاً قاطعاً شديد المضاء وذبح به الفتاة المنكودة حتى كاد يفصل الرأس عن العنق ، ومع أنني قد خدمت في الحرب العظمى في فرنسا ، ثم عملت سكرتيراً لكولت ورأيت الكثير من المنظر المروعة إلا أنني لن أنسى قط ما رأيته في تلك الليلة .

وظل فاقشر كولت لحظة طويلة يتأمل الجثتين ثم مد ذراعه فلمس يد المرأة القتيل وهو يسأل : ألم تعرف شخصية هذين التعسفين ؟

— كلا يا سيدي . فقد تركنا كل شيء على حاله دون ان نمسه انتظاراً لمقدمك .

فتحول كولت نحوي وهو يقول :

— ان أمامك يا توني جثمان كاهن ابرشية غنية ، كما يبدو من أناقة ثوبه الكهنوتي وجودة نوعه ، واني لعلني يقين من ان الجريمة ارتكبت فوق الشاطئ ثم نقلت الجثتان الى القارب ، ولا يمكن ان يكون قد مضى على ذلك اكثر من ثلاث ساعات ، فأما يد المرأة لا تزال دافئة الى حد ما ، رغم تعرضها لרטوبة النهر ، آه ! صه !

ورفع اصبعه الى فيه محذراً وهو يمد يده مشيراً فنظرت في اتجاهها ، وإذا بي أرى شبحاً صغيراً يتحرك في مقدمة القارب الأخضر ، فامسكت بأحد الأعمدة ثم انحنيت الى الامام أنعم النظر في هذا الشبح الدقيق لأتبين كنهه ، وأنا في عجب مما عساه يتحرك ويعيش مع هاتين الجثتين حتى أدركت الحقيقة بغتة من المواء الحاد الذي انبعث فجأة ومن البريق الفوسفوري الذي ترسله عينان مستديرتان متوجهمتان ، فقد كانت تحرس الجثتين في القارب هرة متوسطة الحجم ، مما زاد في بشاعة المنظر ، وتواردت

الاسئلة في خاطري ، ترى لمن هذه الهرة ؟ أمي للقاتل ، أم لاحدى الضحيتين ؟ وكيف وجدت معها في القارب ؟

واخرجني من ذهولي صوت كولت وهو يدعو حارس النهر ويطلب اليه أن يحضر شبكة مما يستعمل في صيد السمك ، وسرعان ما جيء بها ، فلم تقض دقائق حتى كانت الهرة تتخبط فيها وقد ثارت ثائرتها واشتد مواؤها بعد ان لقي الشرطي في الامساك بها عناء أي عناء .. ورفع الرجل صيده عاليا حتى استطعت أن أمسك بها في قوة بين يدي ليراها كولت جيدا .. فراح يفحصها على ضوء مصباحه الكهربائي وهو يتمم كأنه يحدث نفسه :

— يا لك من شاهد عجيب غير مألوف في القضايا الجنائية ايها الحيوان الصغير المسكين !! ولكنك ان تستطيع ان تقص علينا كيف حدث ما حدث ، ومن يدري فلعلك مثلي لا تعرف من الأمر شيئا ، هلا رفعته قليلا يا توني ؟

ومضى كولت يفحص كل جزء في الهرة ، من أذنيها ، ورأسها ، وجسمها حتى اقدامها ، وعندئذ هتف :

— آه !.. أن على أكفك آثار دماء يا صغيرتي ، ولكن ذلك الجميل ، وشاربك العظيم خاليان منها ، توني ، انك تمسك بين يديك بشاهد عيان للجريمة .

ثم تحول نحو السرجنت كارتر فأمره بأن يحضر أحد الاقفاص ويضع الهرة بداخله ، في مكان أمين حتى يطلبها منه ثانية .

وبينا كان الرجل يقوم بهذه المهمة استغرق كولت في التفكير وهو ينفث دخان غليونه في قوة ، حتى إذا ما عاد كارتر التفت نحوه قائلا :

— لقد رأيت أثناء قدومي الآن رافعة بخارية كبيرة عند ملتقى الشارع

التاسع والعشرين بالطريق المؤدية الى المستشفى ، وأود أن تحضرها الى هنا سريعاً لأن كل دقيقة تمر تعد كسباً للقائل .

فلما أسرع السرجنت لتنفيذ هذا الأمر التفت كولات نحو قائلها :
— ان ادق التفاصيل يا توني قد يكون ذا أثر حاسم في القضية ، واهي أريد أن أفحص كل شيء في هذا القارب قبل ان نرفع الجثتان منه .

ولم تمض بضعة دقائق حتى سمعنا هدير الآلة الرافعة للبخارية وهي قادمة نحونا بعمالها جميعاً ، وسرعان ما أملي كولات أوامره ، وهي أن يرفع القارب من النهر في حيلة حتى تظل الجثتان بوضعها الحالي .

فكان العمل شاقاً مضمناً ، حتى كاد القارب يفلت من السلاسل الضخمة التي أحيط بها ، وأخيراً رفع من النهر والماء يقطر من قاعه حتى وضع على الشاطئ ، فأمر كولات بأن يحميه الرجال حملاً وثيداً الى قاعة استقبال الجثث بالمعرض المجاور .

ومضيت مع كولات نسبق الرجال وحمليهم الرهيب ، حتى إذا ما بلغنا تلك القاعة الفسيحة ذات الجدران الملساء القائمة ، رأينا ثلاثة من موظفي المعرض قدم اليهم كونت نفسه وطلب اليهم احضار شمعة وبعض المساند الخشبية الصغيرة لتثبت القارب فوق أرض القاعة ، كما طلب اليهم اضاءة جميع الأنوار .

وما هي إلا هنيهة حتى جاء الجمالون يترنحون تحت حمليهم الثقيل فوضعوه في منتصف القاعة وثبتوه بالمساند الخشبية التي جاء بها موظفو المعرض . وفي الضوء الباهر الذي انبعث من الأنابيب للكهربائية القوية ، بدأ القارب وراكبائه المنكودان يخدقان في السقف بعيونهما الزجاجية الواسعة ، كأنما هو مشهد رهيب مما يعرض في متاحف الشمع .

وأمر كولات السرجنت كارتر بأن يتصل بإدارة الشرطة تليفونياً لارسال الرجال الاختصاصيين ، وكذلك الدكتور مولتولر الطبيب الشرعي .

فلما لم يبق معه بالقاعة سواي ، اشعل كولت غليونيه ، واقترب من القارب وهو يقول : انها قضية معقدة يا توني ، وينبغي باديء ذي بدء أن نعرف اسمي الضحيتين ، ومحل اقامتهما ، وكل شيء عن حياتهما ، وعلينا بعد ذلك ان نحدد مكان ارتكاب الجريمة ، ونهتدي إلى القاتل .

ثم مضى ينطق بخواطره بصوت مرتفع . على عبادته ، بينما أخرجت مفكرتي وبدأت أدون ما يقوله بطريقة الاختزال .

— يا له من قارب عجيب ! انظر يا توني ، أنه لا يحوي الا مقعداً وحيداً ، وليست له دفعة أو مجاذيف ، ويخيل إلي أنه لم يصنع إلا للعرض اللفظي الذي استخدم فيه ، ولكنني موقن من أن هذا القارب يقوم برحلته الأولى فان حشو شقوقه لا يزال جديداً ، كما ان طلاءه ، ليس فيه خدش واحد ، ولنبدأ الآن بفحص هذين التمسسين اللذين لا تعرف عنهما شيئاً ، ان المرأة يا توني باهرة الحسن ، ولا ريب انها كانت مولعة بالزينة والحلى ، فها هو عقدها من العنبر الخالص ، وسوارها محلى بماسات حقيقية ولو انها متوسطة القيمة ، ولكن قرطها من الماس الجيد ، إذن فالسرقة ليست الباعث على الجريمة .. آه ! .. أن إحدى اذنيها خالية من فردة القرط ترى اين هي ؟

وراح كولت ينقب في القارب دون ان يكثر على فردة القرط الأخرى ، التي تبينا فيما بعد أنها كانت في مكان آخر ، وأخيراً عاد إلى فحصه فأمسك بيد المرأة ، فوجد أصابعها لا تزال مرنة لينة مما يثبت ان الوفاة لم يمض عليها أكثر من ست ساعات بحال من الأحوال .. وعاد يتشمم الأيدي الأربعة في قوة ، وهو يتمتم :

— انها خلو من رائحة البارود يا توني فليس في الأمر إذن انتحار مزدوج ثم من الذي نقل الجثتين إلى القارب ؟
ووجد في سوار المرأة مدلاة صغيرة من الذهب نقش عليها رقم ١٣ ، فقال :

- يا المخلوقة المسكينة ! انها كانت تتعلق بالالوهام والخرافات ، وتعلق
اهمية كبيرة على رقم ١٣ .. آه ! اترى ثيابها الداخلية يا توني ؟ انها من
الخزير الفاخر ويخيل إلي انها جديدة كل الجدة ، فلماذا ؟ ان ذلك يمكن
تأويله تأويلاً رهيباً يا بني .

وحول كولات انتباهه نحو الجثة الأخرى ، منغمساً :

- ان رجال الدين يعدون يوم الاثنين يوم راحتهم الاسبوعية ، ولا ريب
ان هذا المنكود كان قد أعد مشروعاً للاستمتاع براحته في رفقة سعيدة ..
وإذا صح حدسي يا توني فإنه قد قص شعره اليوم فقط ، فهناك بعض
شعيرات صغيرة ملتصقة خلف أذنه .. كما ان ثيابه ناطقة بحسن هندامه ،
فثنية السراويل ناهضة كحد السيف ، وبذيقته لم تزحزح من مكانها قلامة
ظفر ، وهذا النظام البادي في ثياب الضحيتين يدل دلالة قاطعة على استبعاد
فكرة النضال والمقاومة ، وذلك يشير في نفسي حيرة كبيرة ، لأن الرجل
أصيب بالرصاصة في جبهته عن قرب ، فكيف لم يحاول الدفاع عن نفسه ؟
ورفع كولات رأسه ريثما اشعل غليونه ، ثم استطرد :

- أترى هذه الدائرة الحمراء التي تحيط برسغه الأيسر ؟ لا ريب ان
القتيل كان يلبس ساعة ذات سوار ضيق ، فاين هي ؟ سوف نأخذ صورة
لهذا الأثر الهام عند حضور رجالنا .

وراح كولات يفتش القبس ملياً ، وكانت جيوب سترته خالية ، أما
الجيب الأيمن لسراويله فكان يحوي لفافة من الأوراق المالية ، مما أثار
عجبي فقلت :

- عجيب ان يسلبه القاتل ساعته ومفاتيحه ، ثم يدع هذا المبدأ
الكبير ..

- نعم .. ويدع ايضاً حلي رفيقته ، وهي اثنان قيمة .. ان هذا كله
يحتاج الى المزيد من التأمل يا عزيزي .. هذا المبدأ الكبير .

ولم يتم كولا عبارة إذ كان قد وضع يده في الجيب الخلفي فأخرج منه من الورق عليها كتابة بالمداد .. وكانت جزءاً ممزقاً من خطاب رحمت أقرأه من فوق . كتفي كولا في الوقت نفسه ، فاذا به يجري كما يلي :

« لقد فكرت طويلاً في الأمر الذي ناقشناه سوياً يا عزيزتي أيفلين .. فكرت فيه في وحدتي ، وفي صلواتي ، دون أن أصل إلى قرار ، إذ إنني أدرك حق الإدراك واجب كل منا . واجبك حيال زوجك وابنتك ، وواجبي حيال زوجتي وربي الرحيم الذي يقرأ ما في ضمائرنا كأنها كتاب مفتوح ، ويغفر لنا ضعفنا .. ولكنه سبحانه أرحم كتاب مفتوح ، ويغفر لنا ضعفنا ولكنه سبحانه أرحم من أن يقتضينا تلك التضحية التي تفوق طاقة البشر ، بأن نضحي بحبنا العظيم .

كلا .. انني لن أطيق هذه التضحية حتى ولو نبذنا الناس جميعاً واستنزلوا علينا اللعنة والغضب ، وحتى لو فتحت أمامنا الجميع على مصراعيهما ثم أغلقت وراءنا لنخلد فيها أبداً .. فاني سوف أقول وأردد دائماً : كلا .. ولف مرة كلا ..

أما الاعتراض الذي اثرته ، وهو هل من حقنا أن نسبب المألمة لمن يحيطون بنا فاني ارد عليه بشيء واحد ، فهل عني هؤلاء بسعادتنا او شقائنا في يوم من الايام ؟ هؤلاء الذين نخشين اليوم ان نسبب لهم حزناً او كدماً ؟ كلا . ليس كذلك ؟ اذن .

إذن تعالي يا حبيبتي الى لقائي في مكاننا المألوف حتى نحقق مشروعنا العظيم ، واذكري ان السعادة التي سوف نلقاها معاً اعظم قدراً من .. ، والى هنا انتهت تلك القطعة من هذا الخطاب الغرامي الحار الملهب ، وعبثاً رحنا نبحث عن قطعة أخرى منه ، حتى قال كولا أخيراً :

— لا بأس يا عزيزي توتي .. لقد علمنا الآن ان كلا من هذين التعسين كان متزوجاً وانها كانا عشيقين .. وهو امر مروع في حد ذاته بالنسبة

لأحد رجال الدين .. ولكنني اتساءل اين ذهبت ساعته وخاتم زواجه ؟
فهناك دائرة حمراء أخرى في بنصر اليد اليسرى ، واني أراهن على ان القس
القتيل كان يضع خاتم زفاف في أصبعه نزع منه مع الساعة في الوقت نفسه .
ولكن لماذا ؟ هذا ما ينبغي معرفته يا عزيزي ، وقد تأكدنا الآن من ان
للرجل زوجة شرعية ، وان المرأة خالفت وراها زوجها وابنة ، كما تأكدنا
من أن في الأمر جريمة قتل ، ولم يبق إلا أن ننتقم لهذين التمسسين .

فقلت : وكيف جزمت ايها الرئيس بأنها قد وضعا في القارب جثتين
هامدتين ؟

— انظر إلى عنق المرأة تر الشريان مقطوعاً مما يسبب نزيفاً دمويماً هائلاً .
ولكن القارب خلو من أي أثر للدماء ، ومن ثم ترى ان الجثتين عندما
وضعتا في القارب كانتا هامدتين وقد مضى وقت على الوفاة .

وناولني كولت الخطاب الغرامي لأضعه في حافظة الأوراق ، فلما رفعت
رأسي وجدته مكباً على القارب يحاول ان يستخرج شيئاً من قاعه . وعندما
استوى قائماً رأيت على وجهه علائم البشر والارتياح وهو يهتف :
— ان العناية الالهية معنا يا بني .

ثم اقترب من أحد المصابيح ليفحص ما وجدته فتقدمت نحوه وما كان
أشد عجباً عندما رايت ان هذا الكنز العظيم لم يكن سوى ورقة صغيرة
من ورق الشجر يضعها فوق راحته المكتنزة ينظر اليها بعينين متألقتين .

— أتعلم أي أنواع الأشجار له هذه الاوراق يا توني ؟

— كلا يا سيدي ..

— ولا أنا .. مع انني أعرف جميع الأنواع المألوفة .

— ولكن .. لست أدري كيف تجعلنا هذه الورقة نتقدم في طريقنا ؟

— بل اننا بفضلها قد نستطيع القبض على القاتل قبل الصباح .. والآن
أصغ الي ، لقد رأيت آلة تليفون في مكتب ملاحظ المعرض فأطلب رقم

١٠٩٤٢ ريفر سايد ، وأخبر مستر ليدير اخصائي النباتات انني أريد أن أراه في الحال ، واطلب منه أن يحدد موعداً للقاء في خلال نصف ساعة .

فلما هممت بالأسراع لقضاء هذه المهمة استوقفني كولت قائلاً :

- مهلاً ، فلم أتم أوامري بعد ، عليك بعد ذلك ان تتصل بالمركز الرئيسي لتعلم إذا كان مكتب الاستعلامات قد تلقى أي نبأ عن اختفاء أحد القساوسة البروتستانت .. وإذا كان الجواب سلباً - وهو ما اعتقده إذ لم تمض ساعة ونصف على اكتشاف الحادث - فمرهم بأن يستخرجوا عناوين جميع الكنائس من دليل التليفون ، ثم يبلغوها إلى جنود الداوريات جميعاً لينذهب كل منهم الى كنائس منطقته فيسأل ان كان الاب المحترم في منزله ، فينبغي ان نعرف خلال ساعة واحدة اسم القاتل .

اتصلت باخصائي النباتات فوعدني بانتظار الرئيس في مكتبه بعد ثلاثة أرباع الساعة ، ثم اتصلت بالمركز الرئيسي وابلغت أوامر كولات للكاتب هنري ، وهكذا انطلق رجال البوليس في انحاء نيويورك جميعاً تلك الليلة الخالدة يطرقون أبواب الكنائس وعددها لا يقل عن المائة ، للسؤال عما إذا كان القس موجوداً بمسكنه ؟

فلما عدت الى القاعة ، وجدتها توج برجالنا وقد بدأوا عملهم . فما هو فريد ميركل المصور الفوتوغرافي ، وويليامز خبير تحقيق الشخصية ، والدكتور مولتور الطبيب الشرعي - وكان يفحص الجثتين افحصاً مبدئياً - ثم كبير المفتشين فيجلي ، والمفتش لنجل مساعده ، وكان كولات واقفاً مع تلك الشخصية المحبوبة الذائعة الصيت ، مستر ميرل دوجرتي ، وكيل نيابة المنطقة ، والصديق القديم لثاتشر كولات وقد وقف متمللاً ، والعرق ينضح من وجهه المكتنز المستدير فلا يبالي ان يحففه .

فلما اقتربت منها سمعت دوجرتي يسأل الرئيس ان كان قد فحص ثياب القتلين الداخلية قائلاً :

- لأن المعلومات الخاصة بمحلات الغسيل في نيويورك كلها محفوظة بالمكتب الرئيسي ، اليس كذلك يا ثاتشر ؟

- بلى .. ولكن من سوء الحظ ان كلا القتلين يرتدي ثياباً جديدة لم تنسل قط .

فانتفض وكيل النيابة وضاح : آه ! الا تري ذلك عجيباً ؟

- بلا ريب ، انه مثير للدهشة .

وتحول الرئيس نحوي وسألني عما إذا كنت قد اتصلت بالمركز الرئيسي ، فأدركت أنه يريدني على الا أذكر شيئاً عن اخصائي النبات وعن ورقة الشجر . فلما رويت له حديثي مع السكاكيت هنري ، صاح دوجرتي وهو يرمقني بنظرة اطراء :

- مرحى .. مرحى .. انني اشعر يا فائق ان تحقيق هذه القضية سيتم على خير وجه يا صديقي .. وفي رأيي ان اول ما ينبغي عمله . هو ان نبادر بسؤال تويل وصديقه الحسناء . ما دامنا اول من رأى القارب . ففكر كولات لحظة ، ثم أحنى رأسه وقال :

انها فكرة ضائبة يا عزيزي دوجرتي .. فهل لك ان تتولى سؤال هذين الشاهدين ريثما اشتغل ببعض المهام العادية ؟
- حسنا .. ولكن اين ومتى نتقابل ثانية ؟

- في الساعة الثالثة صباحاً ، بمنزلي إذا لم يكن في ذلك ما يضايقك .
وهناك يمكننا ان نرسم خطة العمل .

فلما انصرف وكيل النيابة ومعه أحد المفتشين ، القى كولات تعليماته الى فيجلي ولتجل ، ثم أردف : سوف أظل على اتصال بالمكتب الرئيسي كل نصف ساعة ، واذا أخطر أحد رجال الشرطة عن غياب أحد القساوسة فلا تتخذوا أي اجراء قبل الاتصال بي . كما أرجو ان تجتمعوا في منزلي في الساعة الثالثة ، أي بعد ساعة .

والتفت نحوي بعد ذلك فطلب مني ان أحضر الهرة ، فجيء بالقفص الذي حبست بداخله وعندئذ استدعى كولات خبير البصمات ، ويليامز ، وأمره بأن يأخذ بصمات اقدام الهرة .

واستقبل هذا الأمر الغريب بصمت عميق ، دون ان يجرؤ أحد على الاعتراض او التساؤل ، ولو ان الدهشة كانت بادية في عيون الجميع ، وسرعان ما جاء ويليامز بمعداته ، وبعد لحظة كانت بصمات أكف الهرة الأربعة مطبوعة على (الفيش) فأمرني كولات بأن أضعه في حافظة الأوراق مع الخطاب الغرامي ..

وما كاد ميركل يفرغ من تصوير الدوائر الحمراء حول معصم القتييل وينصره حتى أمر الرئيس بنقل الجثتين الى المشرحة على ان يوافيه الدكتور مولتولر بتقريره حالما يفرغ منه .

وبعد دقائق كنا نستقل السيارة معاً ، ولبثت صامته برهة أقاوم الفصول حتى لم استطع معه صبراً فسألته :

— ما الذي جعلك تجزم ان الجريمة ارتكبت في مكان ما على شاطئ النهر يا سيدي الرئيس ؟

— ان مجرد استخدام القاتل لهذا القارب لابعاد الجثتين عن مسرح الجريمة يضعنا أمام أحد احتمالين ، فأما أن القارب كان يرسو عند الشاطئ ، انتظاراً لهذه المهمة البشعة ، وهو ما لا اعتقده ، لان ذلك يستلقت الانظار ، وقد يشهد بعض المارة برؤيته .. وأما أن يكون القارب قد أخفى بقرب الشاطئ في قبو أو كهف أو ما شابه ذلك حيث وضعت فيه الجثتان واقتيد الى النهر .. واني اجزم بذلك لانه لا يمكن ان يكون القاتل من الغفلة بحيث ينقل الجثتين على قارب في شارع نيويورك ليصل الى النهر فيستريح الانظار .

وبلغت بنا السيارة دار البلدية حيث كان المستر ليذر اخصائي النباكات في انتظارنا وبعد التحيات المألوفة قدم له كولات ورقة الشجرة وسأله عنها ، فقال :

- انها من شجرة واسعة الانتشار تدعى (شجرة السماء) وفي نيويورك عدد كبير منها على الرغم من اننا أشهرنا عليها حربا لا هوادة فيها لان البعوض يأوى اليها .

- ألا يزال باقياً شيء منها هنا ؟

- بلى .. لدينا آلاف عديدة منها هنا .

فرمقتني كولت بنظرة سريعة ملأى باليأس والاسى ، إذ كان رجاءه الوحيد للوصول الى مسرح الجريمة هو العثور على الشجرة التي شاء القدر ان تسقط إحدى أوراقها في القارب المشؤوم ، وبعد ان أشعل غليونه قال في وجوم !

- الا يمكنك يا مستر ليدر ان تخبرني هل يوجد كثير من هذه الشجرة في حي مانهاتان ، على الشاطئ الشرقي للنهر ؟

- انها نادرة في تلك المنطقة يا مستر كولت ، فلا توجد إلا في ثلاث جهات فقط على طول الشاطئ الشرقي ، اولها حديقة خاصة لمنزل في الشارع الثاني عشر بعد المائة ، وثانيها متنزه كارل شورز ، وهو حديقة عامة أمام مجموعة من المساكن بالشارع الاول ، يطلق عليها اسم سانجستر تراس ، وهناك تمتد الاشجار حتى الشاطئ نفسه .

فأمسك كولت بذراعي في عنف وهو يقول :

- ذلك أصلح مكان لارتكاب الجريمة يا توني .

وتم يشكر ليدر ببضع كلمات قليلة ثم اندفع يهبط الدرج في عجلة ويثب داخل السيارة وهو يصيح بالسائق ان يذهب بنا الى سانجستر تراس ، وسرعان ما بلغنا غايتنا ، فاذا بنا أمام صف من المنازل القديمة طليت ابوابها بالالوان الزاهية الخضراء والحمراء وغيرها على عادة ذلك العصر ، وكل منها يحمل رقماً نحاسياً ، وكانت المساكن جميعها مظلمة موصدة النوافذ تبدو

مقفرة هجرها اصحابها ، وكان قلبي يهبط من قرط اللفة ، فهل تراءنا نسير
في الطريق المؤدي الى الحقيقة ؟

وأمر كولت السائق ان يدعو الحارس الليلي ، فجاء به بعد لحظة ، وكان
يدعى كراوس ، فسأله كولت :

- هل كل شيء علي ما يرام الليلة يا كراوس ؟

- الليلة وكل ليلة يا مستر كولت ، خصوصاً في موسم الاجازات حيث
يذهب السكان جميعاً الى مصايفهم .

- هل تقوم بالحراسة وحدك ؟ وهل تعني بالحديقة ايضاً ؟

- اننا اثنان نتناول الحراسة وخدمة الحديقة .

- هلا توجد هنا واحدة من « أشجار السماء » ؟

- بلى .. وهي مشار متاعبنا لكثرة ما يعيش فيها من الحشرات .

فاشغل كولت غليونه في تودة ثم قال :

- في أية ساعة بدأت نوبتك في الحراسة ليلة امس يا كراوبس ؟

- في الساعة السادسة يا مستر كولت ، ولكن ما الذي حدث ؟

فلم يحبه الرئيس وإنما اشار الى السائق ان يتصل بالمركز الرئيسي تليفونيا
ليسأل هل من جديد ثم يلحق بنا في الحديقة .

وبعد لحظات كان الحارث يقودنا في تلك الجنة الفيحاء التي انتشرت فيها
الاشجار والزهور فوق بساط من العشب الاخضر السميك حتى شاطئ
النهر ، ليرينا موضع شجرة السماء ، وما ان وقعت انظارنا عليها حتى شقت
إذ تبينت في اوراقها نفس الورقة التي عثرنا عليها في القارب . بينما ركع
كولت بجوارها وراح يفحص العشب على ضوء مصباحه الكهربائي ، وما
لبث ان هتف :

- أقرى هذا ال اثر الغائر في العشب يا توني ؟ لقد كان القارب هنا .

فقاطعه كراوس قائلاً : لم يكن يوجد قارب في الحديقة مطلقاً .

وكانت الشجرة قريبة من النهر فاستطاع كولات ان يتبين خطأ طويلاً غائراً يمتد منها الى الشاطئ ، ومن الواضح أنه كان أثر جر القارب بحمله الثقيل .

وفي صوت خافت ، راح كولات يقول لي :

- انني الآن على يقين يا صديقي من أن أحد هذه المنازل الهادئة المظلم كان مسرحاً للجريمة المزدوجة ، ففي أحدها تم بناء القارب واخفاؤه حتى حمل اللبنة الى الحديقة ووضعت فيه الجثتان ثم سحب الى النهر وترك تحت رحمة التيار .

- ولكن كيف تستطيع معرفة المنزل المنشود بين هذه المنازل الخمسة والعشرين ؟

- ان المسألة كلها مسألة الهام من بادىء الأمر يا توني ، هل نذكر ان ايفلين المسكينة كانت تحمل مدلاة ذهبية عليها رقم ١٣ ؟ لنبدأ اذن بالمنزل الذي يحمل هذا الرقم .

ثم خاطب الحارس بصوت عال سائلاً : ألا يقتني أحد سكان هذه المنازل هرا من النوع الفارسي يا كراوس ؟

- بلى .. انها هرة وقدعى جيزابيل .. وهي لمستأجر المنزل رقم ١٣ .

- حسناً يا كراوس . افتح لنا باب هذا المنزل فاني أود أن أزوره .

فحاول الحاول الحارس ان يعترض ، لما في ذلك من انتهاك لحرمة منازل الناس وهو المكلف بحراستها ، ولكن كولات واجهه في حزم وهو يصوب الى وجهه مصباحه الكهربائي .

- إذا كنت حريصاً على واجبك إلى هذا الحد فإن كنت عندما ارتكبت هذه الجرائم ؟

- جرائم :

- نعم . انها جريمة قتل مزدوجة .

فترنج الرجل وشعب وجهه ، وغمغم : لست أدري عم تتحدث يا مستر كولت ؟

- لقد استلمت نوبتك في الساعة السادسة ، وبعد ذلك بقليل قتل رجل وامرأة في هذا المنزل ، فهل تزعم انك لا تعرف عن الأمر شيئاً ؟ وهل تظنني أصدقك ؟ فراح الرجل يرتجف كمن أصابته الحمى فجأة ، وصاح :
- هذه هي الحقيقة ، فاني لم أكن هنا ، لقد تركت الحراسة بعض الوقت .

- لماذا ؟ وابن ذهب !

- لقد تلقيت برقية بأن امرأتي أصيبت في حادث ونقلت الى مستشفى بروكلين بين الحياة والموت ، فأسرعت لأراها ولكنني وجدت انها مزحة ثقيلة من أحد السخفاء ، فعدت ثانية .

- أرني هذه البرقية ؟

- فأخرج الرجل من جيبه ورقة صغيرة قدمها لكولت ، تقرأها هذا ثم تأولني ايها طالباً ان احتفظ بها جيداً ، واستطرد يقول للمحارس .
- انك في مركز دقيق يا كراوس وفي وسعي ان أقبض عليك الآن .

فصاح الرجل مرتاعاً :

- بالله لا تفعل يا مستر كولت ، سوف افتح لك المنزل .

- في هذه الحالة يختلف الأمر ، هيا أمامي .

وتبعنا الحارس حتى المنزل رقم ١٣ . وفي طريقنا اليه همس كولت في أذني :

- افنا نقترّب من الحقيقة يا توني ، فهذه البرقية ليست سوى خدعة من الجاني لإبعاد الحارس !

وولجنا باب المنزل ، فاذا نحن في ردهة مظلمة ليس بها من ضوء سوى ما يبعثه مصباح كولت الكهربائي ، وكنت اسمعه يتشمم الجو بصوت عال وأخيراً غمغم :

- انني لا اشم رائحة دماء حديثة .

ثم نحى بصره الى كراوس وقال :

- كم حجرة هنا في الطابق الأرضي يا كراوس ؟

- حجرتان للخدم فقط ، وهما خاليتان الآن ، أما باقي المنزل فيشغله المستأجرون .

- سوف افتش المنزل كله وستكون معي .. ولكن أشعل الضوء أولاً . فلما انتشر الضوء في الردهة رأيت في صدرها باباً سميكاً من خشب البلوط المنقوش فتحة كولت فاذا وراءه حجرة فسيحة خالية من الأثاث يضيؤها مصباح صغير مدلى من السقف ، وعندئذ سمعت كولت يتمتم في رضى :

- لقد اسعدنا الحظ هذه المرة يا توني ، ألا تشم رائحة طلاء جديد ؟

وكان في صدر الحجرة نافذة كبيرة يبلغ عرضها نحو تسعة أقدام ولا ترتفع عن الأرض بأكثر من قدم واحد وتشرف على الحديقة والنهر، فقال لي كولت في صوت خافت : لست أريد ان اتعجل الحكم ، غير ان رائحة الطلاء

والخشب التي تنبعث من هذه الحجرة تجعلني اعتقد ان القارب قد ظل بها
بعض الوقت ، ومن يسدري ؟ فلعله صنع هنا وأخرج الى الحديقة من
النافذة .

ثم التفت الى كراوس وسأله :

— لمن هذا المنزل يا كراوس ؟

— ان صاحبه السيدة بازيل هوارثون ، وهي سيدة عجوز هجرته لتقيم
في الفندق وقؤجره مفروشا ، والذي يستأجره الآن هو مستر ومستر سادلر
كما يدعوان نفسيهما ، ولكنهما لا يقيمان فيه بانتظام ، بل يمضيان معاً بعض
الأمسيات أو السهرات .

— هل شعر مسز سادلر كستنائي للون ؟

— نعم .

— ومستر سادلر ؟

— انه شعر اشقر مجعد .

— ألم تر أحداً غيرهما يدخل المنزل منذ ان استأجرناه ؟

— كلا ، فيما أعلم .. فهما لا يستقبلان أحداً البتة .

— ألم يحضر الليلة الى هنا ؟

— كلا .. أعني لم يحضرا أثناء وجودي .

وراح كولت يحيل مصباحه الكهربائي في النحاء الحجرة ، وما لبث ان
أشار الي بأن اقترب منه ، وهو يومي بأصبعه إلى بقعة من الطلاء الأخضر
على الأرض ، قائلاً :

لا تنسى أن القارب كان مدهوفاً بهذا اللون .

وعاد الى فحوصه ، وإذا به ينحني جانباً ويلتقط شيئاً من ركن الحجرة
خلفي وهو يقول: اقرب هذه الاثقال الحديدية يا توني؟ يوجد هنا ثمانية منها.

ورفعت أحدها في يدي فاذا بها من الطراز الذي يستعمله الرياضيون في تداريبهم ومن نوع تقيل غاية الثقل ، فوجمت لحظة مدهوشاً ، على حين استطرد كولت :

.. أنني أكاد أخشى التعبير عن رأيي يا توني ، ولكن هب ان القاتل بلغ ظمؤه للدماء حداً جعله لا يكتفي بقتل ضحيتيه ، وإنما أراد أن يقطع جثثيهما الى قطع صغيرة ويربط في كل منها ثقلاً حديدياً ثم يستقل القارب الى عرض النهر ويلقي به في اعماقه ، ولكن إذا كان الامر كذلك فما الذي نمنعه في انفاذ خطته ؟

وفي ركن آخر من الحجرة وجد كولت مجدافين قبل ان يقرر الصعود الى الطابق العلوي . وما كنا نرقى الدرج ، ونبلع الردهة حتى وجدنا في ناحية منها حقيبتين كبيرتين عليهما هذان الحرفان : ا. س.

وفتحهما كولت وكانتا غير مغلفتين بالقفل ، فاذا بداخلهما الكثير من الثياب والاحذية النسائية ، ولكنها جميعاً جديدة كل الجدة بحيث لم نجد عليها ما يمكن ان يرشدنا الى شخصية صاحبها .

ومضينا الى حجرة استقبال عتيقة الطراز ، ولو انها وثيرة الفراش ، ليس بها من شيء عصري سوى جهاز للتليفون موضوع فوق خوان صغير . وكان كولت يحيل نظراته في انحاء الحجرة وهو يتمم :

.. ان كل شيء منظم مرتب ، وفي المكان المخصص له ، كما لا يوجد اي متاع شخصي ينم على صاحبه ، وان الانسان ليخال أنه قد مضت أعوام طويلة دون ان يلج هذه الحجرة انسان . آه !

وكانت عيناه تدوران في ارجاء الغرفة في بطم .. فرأيتهما تستقران فجأة على نقطة معينة وهو يهتف :

.. أخيراً .. هذا شيء يسترعي النظر .

فتبعت نظرتة ، وإذا بي أرى سكيناً طويلة ذات حدين يستطع منها
بريق يخطف الابصار ، ولها مقبض طويل من العاج المنقوش ، وكانت السكين
معلقة على الحائط بشريط أحمر اللون .. فقال كولت :

- ان هذه السكين تدعى (بارونج) ولا تزال تستعمل في الفلبين وجزائر
سولو .. ويستخدمها الوطنيون في ضرب اعناق اعدائهم .. ولكن كيف
أحضرت إلى هنا ؟

فأجابه كراوس :

- انها للمنستر هوارتون .. فقد كانت في شبابه جولة رحالة ، وجلبتها
أثناء رحلة لها في المحيط الهادي كما ذكرت لي .

فمر كولت بيده على الجدار حول السكين ، ثم قال وهو يريني أصابعه
الملوثة بالتراب :

- ان الغبار يملأ المكان كله ما عدا هذه السكين ، ولعلك تلاحظ انها
مشحونة حديثاً ، بل يستطيع المرء ان يقسم انها قد غسلت منذ ساعة
واحدة .

واستمر كولت في بحثه ، حتى سمعته يصيح وهو يركع أمام الأريكة :
- تبارك الله في عليائه يا توني . انظر !

فنظرت . وإذا فوق راحته الممتدة شيء صغير يتألق في الضوء .

- انها فردة القرط الأخرى ، التي تكمل ما وجدناه في اذن المرأة قتيل
القارب يا توني . الآن وثقت ان الجريمة ارتكبت هنا ، في هذه الحجرة
بالذات . ولكن لنبحث عن أدلة أخرى .

وفتح باباً يؤدي إلى حجرة صغيرة معتمة ، فإذا به يثر على آثار اقدام
حديثه واضحة كل الوضوح على التراب الكثيف الذي يكسو أرض

الحجرة المهجورة ، كما وجد على الجدار بجانب الباب آثاراً تم على أن شخصاً كان يسند اليه رأسه ومرفقه ، شخصاً لا يزيد طوله على خمسة أقدام . ترى هل نحن الآن في مخبأ القاتل ؟ .

وخرج كولات من الحجرة المعتمة وفي أساريه علائم التفكير العميق .. وفي تلك اللحظة عاد السائق ، فقال انه اتصل بالمركز الرئيسي فعلم ان الرجل قد عرفت شخصيته .. فهو المحترم تيموتي بيزلي راعي كنيسة القديس ميشيل الواقعة في الشارع الثاني والثمانين .. فعندما ذهب الشرطي الى تلك الكنيسة ليسأل عن القس اجابته السيدة التي فتحت له زوجها خرج ولم يعد ، وقد بدأ القلق ينتابها من غيابه الطويل .

فأخرج كولات منديله وامسك به مسامح التليفون وطلب مستشفى بلقي حيث سأل عن مستر دوجرتي ، وبعد لحظة كان يقول :

أهذا أنت ميرل ؟ انني أتحادث اليك من المنزل الذي ارتكبت فيه الجريمة نعم .. سوف أقص عليك كل شيء فيما بعد .. ولكنني أرجو ان تحضر للتو ومعك فيجالي وباقي رجالنا .. فقط لا تقل شيئاً للصحفيين .. تماماً - ١٣ سانجستر تراس ، المنزل ذو الباب الأحمر .

وأمر كولات سائقه ان يهبط الى الطريق لينتظر مستر دوجرتي ، كما أمر الحارس كراوس بأن يصحب السائق ويبقى معه .

ثم أخذ الى الصمت وراح يحجب انفاساً متلاحقة من غليونه .. ولكني لم استطع معه صبراً ، فسألته ان كان قد كون فكرة عن كيفية وقوع الحادث فقال ساهماً .

لا تزال العناصر الاصلية تنقصني يا نوني .. ولكنني أعرف شيئاً واحداً فقط ، هو ان مرتكب هذه المجرمة قد أعد خطته في أحلام غريب .. فاليد التي استخدمت هذه السكين لم ترتعد قط لأن صاحبها يمتاز برباطة الجأش

وقوة الأعصاب .. ولكن هل تستطيع انت أن تفسر لي كيف لم نجد أثراً
البتة للدماء لا في القارب ولا هنا . على أننا على يقين من ان الضحيتين قد
نزفا دماءهما وان الهرة قد وطشت هذه الدماء بأقدامها ؟

ولم ينتظر كولت اجابتي بل مضى نحو الباب قدماً ثم غادر الحجرة ..
ولبثت جالساً بالقرب من النافذة أجهز مذكراتي عندما سمعته يدعوني من
الردهة فهرعت نحوه ووجدته راكماً على الأرض يمر بضوء مصباحه على
الالواح الخشبية ، فركعت بجوارده وإذا بي أرى خطين متوازيين من بقسح
صغيرة حمراء داكنة ، خلفتها اقدام هرة ملوثة بالدماء .. فأخرجت من حافظتي
(الفيش) الذي طبعت عليه بصمات أكف الهرة التي وجدت في القارب ،
ورحنا نقارن بينهما وبين هذه الآثار ، فكانت متاثلة منطبقة كل الانطباق .

وتنهت كولت في حيرة ، وهو يغمغم :

ولكن كيف لا يوجد أي أثر للدماء في حجرة الاستقبال ، على حين ان
الهرة خرجت منها ومضت نحو الدرج ؟

وقبل ان نفكر في جواب هذا السؤال سمعنا صوت الباب الخارجي يفتح
وإذا بصوت دوجرتي يجادل وهو يصيح :

- مرحى يا كولت .. لله درك من رجل عظيم ! ولكن كيف اكتشف
هذا المنزل بحق الشيطان ؟

وابتسم رئيسي وانتظر حتى تكامل جمع الرجال في حجرة الاستقبال ثم
راح يلخص لهم كل ما مر بنا ، وأخيراً قال :

والآن أريدك ايها المفتش فيجلبي على ان تأمر بالبحث في قاع النهر أمام
الحديقة ، عن مسدس ، والآت للنجارة ، كما اريد ان تفتش الحديقة عند

طلوع النهار وتلمتقط صور جميع الآثار والبصمات التي تجدها سواء فيها أو في المنزل .. كذلك ينبغي أن تتحرى عما إذا كان أحد الجيران قد سمع طلقات نارية ، وإن تتحقق من أقوال كراوس ، وأخيراً أريد أن تطلعني على كل ما تجده أولاً بأول في منزلي .

وبعد لحظات كنت يحواره في السيارة وهي تطوي الأرض إلى العنوان الذي القاه كولت على السائق .. إلى منزل القتل .

وقفت السيارة وترجلنا ، فرأيت أمامي بناء متواضعاً تحيط به حديقة صغيرة ..

وقد شيد على الطراز القوطي بنوافذه الطويلة العتيقة وبرجه المديب .. فاجتزنا الفناء ومضينا الى الباب - حيث أضاء كولات مصباحه الكهربائي - فرأينا لوحة سوداء نقش عليها بحروف مذهب اسم كنيسة القديس ميشيل ، وتحتها ما يفيد ان المحترم تيموتي بيزلي ، راعي الكنيسة ، يقطن المنزل المجاور ، فانتقلنا اليه ، وكان منزلاً عتيق الطراز تكسو واجهته بعض النباكات المتسلقة ، فأدهشني أن أرى الضوء ينبعث من عدة نوافذ بالطابق الثاني ، على الرغم من ان الساعة قد بلغت منتصف الثالثة صباحاً .

وارتقينا الدرجات القليلة المؤدية إلى الباب ، حيث قرع كولات الجرس ، فاذا بالباب يفتح في الحال وإذا بي أرى شاباً قصير القامة يمسك شمعة بيده ، فعراني شعور عجيب من النفور لدى رؤيته ، لا ريب ان سببه تلك النظرة الجوفاء التي راح يحدقنا بها من عينيْن متباعدين مستديرتين لا تتحرك حدقتاهما ، فسأله كولات :

- هل عاد المحترم تيموتي بيزلي ؟

فلم يزد الشاب على أن هز رأسه نفيّاً .. فاستطرد كولات :

- ألم تتلقوا نبأ منه ؟

فكرر الشبيح - كما خيل الي - حركة رأسه .. ولكن كولت لم يياسر ،
فقال :

- هل السر بيزلي هنا ؟

وفي تلك اللحظة سمعنا ضوضاء خافتة ، هي وقع اقدام سيدة تهبط
الدرج وقد لاح وجهها الشاحب وسط الظلام كهالة من الضوء .

واقتربت اليزابث كرننتوود بيزلي منا في هدوء ورزانة يثيران الاعجاب .
وكانت فارعة الطول بادية القوة ، تتم طريقة ترجيل شعرها المخطط بالشيب
وثوبها الأسود البسيط على مياها الزهد والتكشف مع صرامة وتدين خليقين
بامرأة أحد الرجال الدين .. فقدم كولت نفسه اليها وسألها ان كانت مسز
بيزلي .. فأجابت :

- نعم .. هل تحمل الي انباء عن زوجي ؟

- ألم يعد بعد ؟

- كلا فقد خرج المحترم بيزلي في الساعة الثامنة على ان يعود قبل منتصف
الليل ، هل أصابه سوء ؟

- لست أدري بعد .. فهل في وسعك ان ترينا صورته ؟

فتنحنت مسز بيزلي عن الباب وهي تومىء لنا بالدخول ، بعد ان أضاءت
النور ، ثم تقدمنا إلى حجرة استقبال صغيرة .. ولم تكن بي حاجة إلى ان
تشير لنا إلى صورة زوجها ، فقد كانت فوق المدفأة صورة كبيرة بالحجم
الطبيعي تبيننا فيها للثو قتل القارب .

وكانت مسز بيزلي شديدة الشحوب ، ولكنها كانت متماسكة تسيطر على
نفسها تماماً ، فقالت أهو نفسه ؟

فأجابها كولت :

- الأفضل ان تجلسي أولاً يا مسز بيزلي .
وعادت المرأة تسأل في اصرار بصوت ثابت النبرات :
وقبل ان يحيب كولت ، كان الشاب الذي فتح انسا الباب يتقدم نحوه
مسرعاً وهو يهتف : ما الذي حدث لتي (تيموتي) ؟
ان تيم لا يصيبه شيء ابداً .. انه .. انه الرجل الذي لا يصيبه سوء قط .
فامسكت مسز بيزلي بيده وأجلسته الى جوارها ، وهي تقول :
- انه أخي ، بادنجتون كرتنود ، ولكن هل زوجي على قيد الحياة
أم ... أم .
- لقد مات يا سيدتي .

فاغمضت الأرملة عينيها ، وعندئذ لم يبد عليها مساليم على العسمة
المروعة التي أصابتها ، فلم يزد وجهها شحوباً ، ولم تتسارع انفاسها أو تتلاحق
اما بادنجتون فراح ينظر اليها نظرة غامضة منفرة قد تعني أشياء كثيرة ،
او لا شيء البتة .. وظلت مسز بيزلي برهة ساكنة بلا حراك ، منمضة
العينين ، يحيط بها صمتنا وقد احترمنا حزننا .. واخيراً نهضت في ببطء ،
وهي تجر اخاها من يده ، ثم واجهت كولت قائلة :

- معذرة ، فينبغي ان ادعو اخي الثاني تليفونيا ، وبعد ذلك سوف
تقودني الى جوار زوجي الراحل .. اما الآن فاني في حاجة الى بضع دقائق
حق استوعب هذا النبأ المروع .
فانحنى كولت امامها ثانية وهو يقول :
- سوف ننتظرك هنا يا مسز بيزلي .

وما كادت السيدة واخوها ينصرفان من الحجره حتى تحول كولت نحو
واصبغه على فمه محذراً من النطق بأية كلمة ، ثم اتخذ كل منا مجلسه في صمت
ننتظر عودة الأرملة ، وانتهزت الفرصة لتأمل صورة القس ، فراعني ان

في أسارير الرجل ما ينم على مرارة دفينه في نفسه ، وثورة على الحياة والواجب معاً .. كانت صورة تيموني بيزلي تمثل رجلاً به ميل الى الحب والشهوة ، وكانت عيناه تفيضان بالحياة والرغبة ، مما لا يلائم الثوب الكهنوتي الذي يرتديه .

وفيما كنت مستغرقاً في خواطري ، إذا برجل يقتحم الغرفة بفتة ، ويقف أمام كولات قائلاً :

- انني جيرالد كرتنود ، أخو مسز بيزلي .. فهل لك ان تخبرني بما حدث ؟ فرمقه كولات بنظرة فاحصة قبل ان يجيب .. وكان جيرالد كرتنود ربة قصير القامة ، تشبه عيناه الزرقاوان عيني أخته ، كما تشابه حركاتهما .

فلما قص عليه كولات تفاصيل الحادث صاح :

- يا الهي ! هذا أمر فظيع .. انني لا أكاد اصدق ما أسمع .

ومع ذلك فقد لاحظت انه كان يصغي الى حديث كولات في انتباه ، دون أن يبدي حركة ان ينطق بحرف ينم على الانفعال أو التأثر .. وأخيراً سأله كولات :

- هل تستطيع ان ترشدني الى شخصية المرأة يا مستر كرتنود ؟

- مطلقاً .. فاني لا أكاد استطيع تحليل الوقائع التي ذكرتها لي .. وكل ما يمكنني ان اقطع به هو ان هذه المرأة لا تعني شيئاً بالنسبة للمحترم بيزلي ولا تلعب أي دور في حياته .. فقد كان يحب أختي ويخلص لها كل الاخلاص . فلم يذكر كولات كلمة واحدة عن الخطاب الغرامي ، واكتفى بان سأله :

- هل تعتقد ان مسز بيرلي قد أتمت استعدادها لمصاحبتنا الى معرض الجثث ؟

فوثب الرجل على قدميه كاللصوع ، وهو يقول :

- وهل ذهابها ضروري يا مستر كولات ؟ انني على استعداد للذهاب معكم والتعرف على الجثة حتى نجنب اخي هذا المنظر الاليم .

- آسف يا مستر كرتنود .. لا بد من ذهاب مسز بيزلي نفسها .
وخضع الرجل للأمر ، والغضب يعصف بنفسه ، ولكنه كان كأخته .
قديراً في السيطرة على شعوره .

ولم تمض لحظات حتى كان الأخوة الثلاثة يخرجون معنا من باب المنزل ويخترقون نطاق الجند الذي ضرب حوله وحول الكنيسة معا ليمنع خروج أحد إلا بأذن السلطات المختصة .. فألقت مسز بيزلي نظرة باردة على رجال الشرطة ولكنها لم تقل كلمة واحدة عنهم .. وقادها كولات وأخوها إلى السيارة ثم عاد ليسأل عن الشرطي الذي كان يقوم بالنوبة في تلك المنطقة هذه الليلة ، حتى إذا ما وجده سأله ان كان قد رأى شيئاً مريباً في المنزل أو في الكنيسة أثناء نوبته فأجاب :

- كلا يا سيدي الرئيس .. غير انني حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف رأيت بضعة اشخاص يدخلون المنزل .. ولكن لم ألق بالاليهم .

- أكانوا رجالاً أم نساء ؟

- اعتقد أنهم كانوا من الجنسين معا .

ومضت بنا السيارة الى معرض الجثث حتى إذا مادنا آل كرتنود الثلاثة من القارب وقفوا جميعاً مسمرين في أماكنهم يحدقون في المنظر المروع أمامهم دون ان تبدو من أحدهم صيحة أو إشارة .. وأخيراً لمس جيرالد ذراع أخته فاستدار الثلاثة ليواجهوا رئيس البوليس والأرملة تقول في صوت ثابت النبرات :

أنه زوجي .. المحترم تيموني بيزلي .
- والمرأة .. هل تعرفينها ؟

فاغمضت اليزابيث عينيها ، على حين تقدم جيرالد قائلاً :
- نعم .. انني اعرفها .. فهي امرأة تدعى مسز سوندرز كانت ترقاد
كنيستنا خلال الاعوام الثلاثة أو الاربعة الماضية .
- اتعرف اين تقيم ؟

- نعم - ٢٤ شارع مانز كورت .
- شكراً .. وهل في وسعك ان تزودني ببعض المعلومات عن حياتها
الخاصة ؟

- أظن ان زوجها وبلي سوندرز يشتغل حارساً ليلياً .. كما ان لها ابنة
يزابيل .

ودارت عينا كولت في وجوه الثلاثة ، لتقابل نظرات جيرالد كرتنود
المتحدية ، ونظرات مسز بيزلي الجامدة ، وابتسامة أخيها الأصغر الماكورة
وما لبث أن تركهم ومضى الى جانب من القاعة حيث دعا أحد رجال
الشرطة فسكفه بأن يذهب الى العنوان الذي ذكره جيرالد ، ويضرب حوله
نطاقاً من الحراس ، ثم يطلب الى وبلي سوندرز وبنته ايزابيل مرافقته الى
المعرض للتعرف على جثة المرأة ، وبعد ذلك يحضرهما الى منزل كولت الخاص .

وعاد الرئيس الى أرملة القتل وأخوها ، قائلاً :

- انني أرجو الآن ان ترافقني إلى مسكني ، فلدي بضعة اسئلة أريد
ان أطرحها عليكم ، بعيداً عن فضول الصحفيين .
فتقدم جيرالد قائلاً :

- انني اسألك المرة الثانية يا مستر كولت . هل ترى ذلك ضرورياً ؟
- لا مناص من ذلك .

- هل لك إذن ان تسمح لي بكلمة على انفراد ؟

- بلا ريب .. تعال يا توني .

فلما بعدة عن الجميع قال جيرالد في صوت خافت :

- انه بشأن أخي بادنجتون يا مستر كولت .. فلملك لاحظت ان المسكين مصاب بالعتة وغير مالك لقواه العقلية تماماً .. ولست اعني أنه مجنون ، فهو ليس من ذلك في شيء .

- لماذا اخترت هذا الوقت لتقول لي ذلك ؟

- ألا يمكنك ان تعفى بادنجتون من الاستجواب ؟ انه .

- انك لم تجب على سؤالي .. لماذا اخترت هذه اللحظة ؟

- لأنني لست أدري ما الذي يمكن ان تفيده من سؤال شخص ضعيف العقلية مثله ؟

- هذا بالذات ما أريد ان أعرفه يا مستر كرتنورد !

كان الطابق الثالث من منزل تاتشر كملت لا يحوي إلا حجرة واحدة هي المكتبة الفسيحة ذات الأثاث الوثير والمقاعد الكبيرة المريحة ، وكان الرئيس قد عزم على استجواب اسرة القس في تلك الحجرة ، ولكنه كان يريد الانفراد بنفسه بعض الوقت للعناية ببعض التفاصيل الخاصة بالقضية ، فأمر بأن تجلس مسز بيزلي وأخواها في قاعة الاستقبال بالطابق الثاني ، ثم مضى إلى جناحه الخاص بعد ان طلب الي أن أسبقه الى المكتبة حيث كان دوجرتي وفييجلي وبعض المفتشين في الانظار .

وما كاد وكيل النيابة يراني حق هتف ساخراً :

- ألم يأت رئيسك بمجرات جديدة ايها الفقى ؟

- لقد اكتشفنا شخصية القتيلين .

ثم رحت أقص عليهم ملخص ما حدث في النصف الساعة الأخير ، وما ان فرغت من حديثي حق دخل كملت الحجرة وهو يتوثب نشاطاً ويتدفق حيوية ، فقال :

- وأنت يادوجرتي ، ألم تكتشف شيئاً في منزل سانجستر قراس ؟

- نعم ، ولا .. ولكننا على كل حال قد حددنا ساعة وقوع الجريمة ..

- مرحى ! مرحى !. في أية ساعة ؟

- لقد اتفقت اقوال اثنتين من الجيران على انها كانت الساعة الا ربماً

عندما سمعنا طلقتين فارين بينهما نحو ثلاث دقائق ، وأولى الشاهدين حددت

الوقت تماماً لأنها كانت تتناول دواء في اللحظة والساعة بيدها . والأخرى في طريقها الى السينما ، ولما كانت الحفلة تبدأ في التاسعة فان شهادتها تتفق مع شهادة الاولى . وقد سمعت من هذه ان القتيلين كانا يرتادان منزل الجريمة بانتظام منذ عامين ، وكثيراً ما رأتهما يتنزهان في الحديقة على ضوء القمر في ليال عديدة .. وثمة شيء آخر ذكرته تلك الشاهدة ، ذلك انها منذ شهرين كانت تسمع طرقات ثقيلة في ذلك المنزل مما يؤيد نظريته من ان القارب شيد في الحجرة الكبرى بالطابق الأسفل .

فأمر كولت فيجلي بالتحري لدى بائعي الخشب وأدوات النجارة لعل أحدهم يستطيع ان يذكر شيئاً عن اشترى هذه الأدوات .. ثم تحول نحوى وأمرني بأن اطلع الحاضرين على الخطاب الغرامي والبرقية ، وكذلك تفتيش منزلي القتيلين والكنيسة . واستطرد قائلاً :

— لقد استطعت الآن ان أجمع بعض المعلومات عن آل كرتنود هؤلاء . فقد ولدت مسز بيزلي في عام ١٩٢٠ ، أي انها الآن في السادسة والأربعين ، وهي تنتمي الى أسرة غنية من اصحاب المصانع ، كما ورثت ثروة طيبة وهي في الخامسة والعشرين ثم تزوجت المحترم بيزلي في شيكاغو غداة فصح خطوبتها للكولونيل باول المحامي المعروف ، وسوف ترون الآن اناساً غربي الاطوار شديدي التكتم بارعين في اخفاء حقيقة مشاعرهم خلف ستار من الجود والصرامة .

ولم ادر ما الذي ينتظره كولت لاحضار الأرملة ، ولكنني ادركت السر عندما سمعت مقبض الباب يتحرك من الخارج ، ففهمت ان كولت يريد الحصول على بصمات اصابع الشهود فلجأ الى خدعته المعروفة وهي استبدال المقبض الاصلي بآخر من طراز خاص قنطبسع عليه بصمات اصابع كل من يفتح الباب .

وطلب الي كولات ان أنزل لاحضار مسز بيزلي وحدها ، على ان تفتح الباب بنفسها معها يبدو في مسلكي هذا من فساد الدوق ، فما كاد الاخوة الثلاثة يرونني حتى نهضوا واقفين ، فذكرت لهم انني مكلف بدعوة مسز بيزلي وحدها ، وعندئذ ثار جيرالد كرتنود وصاح في وجهي :

ولكن مسز بيزلي نظرت اليه في هدوء غريب وقالت :

- انني اعترض على ذلك بكل قواي ، فان اخي متعبة بحيث لا تستغني عن وجوي بجوارها ، أين مستر كولات ؟

ولكن مسز بيزلي نظرت اليه في هدوء غريب وقالت :

- لا ثمترض يا جيرالد ، فأنني أضع نفسي تحت تصرف رئيس البوليس ، يا الهي ! لو ان الكولونيل بول كان هنا لانقذني من هذه المحنة .

- ولكن الباخرة التي تقله لن تصل إلا غداً ، انني يا مستر أبوت أريد ان أتحدث إلى رئيسك لاقنعه بأن اخي في حالة لا تحتمل معها استجواباً الآن .

ومن جديد قالت الارملة :

- انك مخطيء يا جيرالد ، خذني الى رئيسه ايها الشاب .

وغادرت اليزابيث كرتنود بيزلي قاعة الاستقبال مرفوعة الرأس ، ثم مضت نحو الدرج أمامي ، حتى إذا ما أشير الى باب المكتبة ، واجهتني في دهشة من سوء أدبي .

واستقبلها الرجال وقوفاً ، ثم قدم اليها كولات مقعداً خاصاً وسط هالة من الضوء زادت من شحوب وجهها وامتقاعه .

وبدأ كولات يسألها عن اسمها وعمرها وتاريخ زواجها ، فقالت انها تزوجت من المحترم بيزلي منذ اثني عشر عاماً واستطرد :

- متى خرج زوجك من المنزل مساء الامس ؟ وهل أخبرك الى اين كان ذاهباً ؟

- خرج حوالي الساعة الثامنة ، وكان قد أخبرني انه سيشغل في مكتبه حتى منتصف الليل ، كما رأيته يحتاز الممر الداخلي الموصل من المنزل الى الكنيسة ، وقد ظل النور مضاء في مكتبه ولكنه خرج دون ان يخبرني فلم اعلم بخروجه إلا عندما ذهبت اليه عند منتصف الليل لأنبهه إلى الوقت فلم اجد احداً في المكتب

- الا ترآين في سبب خروجه المفجائي ؟

- كلا .. ما لم يكن السبب الحديث التليفوني الذي سمعته يتبادله قبيل العشاء ، ولم اعرف من الذي كان يحدثه ، فقد قرع التليفون في الساعة السابعة إلا ربعا ، وكان زوجي وقتئذ يخلق ذقنه في الحمام ، إذ كان غائبا عن المنزل طول اليوم ! فخرج ووجهه مكسو بالصابون ليجيب على التليفون فسمعته - دون ان اتعمد الاصغاء الى حديثه - يقول « هالو » ، ثم سكوت لحظة ، وأخيراً قال « حسنا . سوف اكون هناك في الساعة الثامنة » .

- اتظنين ان محدثه كانت مسز سوندرز ؟

فرفعت مسز بيزلي رأسها في انفة ، وقالت : لا ادري .

- اكنت على علم بالعلاقة التي كانت بينهما ؟

- ان هذه العلاقة المزعومة لم توجد قط . فقد ظل المحترم بيزلي مخلصاً لي .

ألم يخطر لك الطلاق منه يوماً ؟

ان آل كرتشوو لا يعرفون لهذه الكلمة وجوداً ، فحق تزوج أحدها كان
زواجه أبدياً .

ولم يشير كولت أية إشارة إلى الخطاب الغرامي الذي وجد في جيب
القس ، واستطرد : وكيف تعللين وجود جثثيهما في هذا التابوت العائم معاً ؟
ألا يوحي ذلك بوجود علاقة بينهما ؟

— لا شيء من ذلك البتة .. أفليس من أخص أعمال القس أن يستمع
إلى اعترافات ابنائه ومتاعبهم في خلوة ؟ ثم ان مسز سوندرز كانت كثيراً
ما تلجأ إلى نصائح زوجي وارشاداته ، فزوجها سوندرز مدمن خمر شرير :
وقد ذكر لي المحترم بيزلي ان ذلك الرجل كان يضرب زوجته أمام ابنتيهما
وهي فتاة في الخامسة عشرة مما يعد أمراً غير لائق .. وإذا كنت لا
استطيع تعليل سبب مصرع زوجي العزيز الطاهر إلا أنني اقطع بأن وجود
الجثتين معاً لا ينبغي تأويله شيئاً .

— إذن فقد كانت الساعة الثامنة تقريباً عندما رأيت المحترم بيزلي للمرة
الأخيرة ؟

ولم تجب المسز بيزلي لأول وهلة .. ولاحظت انها تعصر يديها في قوة :
وابشنا نلتظر الإجابة على هذا السؤال العادي الذي القاه كولت دون غرض
معين .. وأخيراً قالت :

— نعم .. لقد كانت الساعة قبيل الثامنة عندما رأيت زوجي للمرة
الأخيرة على قيد الحياة .

— هل يمكنك أن تخبرينا كيف قضيت سهرتك ؟

— عندما فرغت من العشاء رحت أرتب معدات رحلة كنا نزمع القيام

بها غداً - أعني اليوم - للترفيه عن أطفال الابرشية ، على عادتنا كل عام منذ أحد عشر عاماً .. وبعد ذلك أويت إلى حجرتي لأكتب بضعة خطابات .. ثم رحت اقرأ نحو ساعة في كتاب ديني .

- ومتى فرغت من القراءة ؟

- حوالي الساعة العاشرة .

- ومتى بدأت تقلقين لغياب زوجك ؟

- عند منتصف الليل ..

- هل سهرت إلى تلك الساعة ؟

- كلا .. فبعد ان تلوت صلواتي أويت إلى فراشي ، ولعلي رحت في نوم غير عميق ، لأنني استيقظت بغتة وبني فزع خفي إذ كان المنزل موحشاً ، مظلماً .. ونهضت من الفراش وذهبت إلى الكنيسة فوجدت النور مضاء في مكتب زوجي ولكنه لم يكن هناك . وانتابني القلق فطلبت أخي جيرالد في التليفون ، فهدأ من روعي ولكنه طلب الي أن اتصل به ثانية إذا لم يعد المحترم بيزلي حتى الساعة الثانية .. فلم أنم بعد ذلك ورحت اقلهى بحياكة بعض الجوارب حتى جاء رجل الشرطة وسأل عن زوجي .. وأنت تعرف الباقي .

- هل اتصلت بمستر كيرتنوود لتخبريه بسؤال الشرطي ؟

- نعم .. وقد أجاب أخي بأنه سيحضر للتو .. ولكنك سبقتك بدقائق يا مستر كولت .

- ألم تسألي زوجك عن الموعد الذي حددته في حديثه التليفوني ؟

- انني لا أوجه سؤالاً الى زوجي البتة ، فيما يختص بعمله .. وهو يخبرني بما يطيع له ان يخبرني به .

- ألم يقيم برحلة منذ عهد قريب ؟

- انه لم يهرح نيويوك منذ ستة شهور .

- ألا يقيم أحد في المنزل سواك وزوجك ومستر بادنجتون أخيك ؟
- كلا .

- ها ما لاحظته .. ولكن هل في وسعك ان تخبريني عن الأشخاص الذين دخلوا المنزل في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلة أمس ؟

فواجهته بنظراتها الثابتة برهة ثم قالت في صوت هادئ وديع:

- ان أحداً لم يدخل منزلي في تلك الساعة .

- هذا يتعارض مع ما قرره الشرطي من أنه رأى جمعا من الناس يدخلون المنزل في هذا الوقت . ولكن دعينا من ذلك الآن يا مسز بيزلي وخبريني هل كان لزوجك اعداء ؟ وهل كان محل تهديد من أحد ؟

- نعم .

فخرج دوجرتي عن طوره وصاح :

- آه ! هل تعرفين حقاً اسم قاتله ؟

- كلا .. لقد سألتني المستر كولت ان لزوجي اعداء فاجبته بالايحاب .

- من تقصدين يا مسز بيزلي ؟

فترددت لحظة قبل ان تجيب : ويلى سوندرز .

- ماذا ؟ زوج ال .

- نعم .. زوج المرأة التي وجدت ميتة بجانب المحترم بيزلي .. وقد كان زوجي يريد التقدم للمحكمة لسلب ولاية هذا الوحش على ابنته ، فلما علم ويلى سوندرز بذلك ثارت ثائره وهدد القس بالقتل .

- هل سمع أحد هذا التهديد ؟

- ملاحظ الكنيسة وبعض اعضاء البرشية .. وكان ملاحظ الكنيسة هو الذي ابلغني .

وبعد صمت يسير سأل كولت المفتش فيجلى ان كانوا قد وجدوا ويلى سوندرز ، فأجابه انه وأبنته اقتسدا الى معرض الجثث حيث تعرفا على الجثة الثانية ، وانها سوف يكونان هنسا بعد قليل .. فتحول كولت نحو الارملة قائلاً :

- لقد أفادتني شهادتك كثيراً يا مسز بيزلي ، ولم يبق الا مسألة واحدة أود أن أخبرك بها ، ذلك ان مصلحة التحقيق ، وسرعة القبض على قاتل زوجك يقتضيان أن نعرف الكثير عن حياته الخاصة ، وبمعنى آخر قراءة أوراقه جميعاً ، أي أن الأمر يدعو إلى تفتيش المنزل ، ولذلك فسوف يصحبك الآن المفتش فيجلى واثنان من رجاله وأرجو ان تسهلي لهم القيام بواجباتهم .

فنهضت مسز بيزلي وواجهت كولت قائلة في برود وكبرياء :

- انمي لا أعرف شيئاً في القانون ، ولكن هل ينبغي ان أخضع لهذا الاجراء الشاذ ؟

فأجابها كولت وهو ينهض بدوره : كلا .

- إذن فاني أرفض .

فتدخل دوجرتي في حماس :

- ان يحديك هذا الرفض كثيراً ، لأننا سوف نجد أنفسنا مضطرين الى حبزك هنا حتى تفتح المحكمة ابوابها ونحصل على أمر قانوني بالتفتيش .

فرمت مسر بيزلي اسلحتها ، ورضخت للأمر الواقع ، وعندئذ صاحبها المفتش فيجلي ليعود معها الى منزلها ، خارجين من باب الخدم .

فلما انصرفت الأرملة وكبير المفتشين ، قال كولت :

- أما وقد حصلنا على بصمات أصابع الأرملة ، فلنر اخاها الصغير .. هل لك يا توني ان تأتي بمستر بادنجتون كرتنوود .

وتركته يلقي أوامره على بعض المفتشين بسماع شهادة ملاحظ الكنيسة وغيره ممن سمعوا تهديد ويلبي سوندرز للقس ، واخيراً عدت ادفع امامي بادنجتون كرتنوود المسكين الذي لم يكن يعلم شيئاً عن انصراف اخته ، ولذلك ما كاد يحتاز باب المكتبة حتى صاح بصوت متهدج تخنقه العبرات : اين اليزابيث ؟

فأخذ كولت بالرفق والدعة ، ولكن المعلومات التي قالها لم تقدمنا خطوة الى الامام ، ويمكن تلخيصها في انه اوى الى فراشه في الساعة العاشرة ، غير ان اخته ايقظته عند منتصف الليل ليجلس معها ، ولم

يسمع او يرى شيئاً البتة، وكان يتغذى اجابته بين آن وآخر سؤال واحد لا يتغير وهو : اين اليزابيت ؟

وفي النهاية صرفه كولت ليعود الى منزله في رفقة أحد الشرطة ، وما لبث ان حل حله اخوه الأكبر الذي دخل المكتب صاحبا يهدير كالثور الهائج :

- لقد علمت من سكرتيرك انك ارسلت اخي الى منزلها بمفردها مع بعض رجال الشرطة ، وهذا تصرف غير مفهوم يا مستر كولت .

فمعه كولت بنظرة صارمة وهو يقول :

- اجلس يا مستر كرتنوود، ولا ريب انك لا تقل عنا رغبة في الوصول الى قاتل المحترم بيزلي ؟

فجلس جيرالد وهو يقول :

- ان اهتمامي بالاحياء يفوق رغبتني في الانتقام للموتى .

- انها عاطفة مشكورة ، والآن دعني احدثك حديث الرجل للرجل ، فهل كنت على علم بالعلاقة التي بين بيزلي وايفلين سوندرز ؟

- لا ، وبحق ، فان زوج اخي لم يكن رجلاً فاضلاً فحسب ، وانما كان مثال الرجل المهذب ، ولا يمكن ان يحب زوجة حارس ليلي .

فأخني كولت راسه لحظة ثم ألقى عليه هذا السؤال :

- هل لك ان تخبرني اين وكيف قضيت ليلة أمس يا مستر كرتنوود ؟

- ماذا ؟ هل تشك انني قتلت زوج اخي ؟

- انني قلما اجيب على الاستئلة يا مستر كرتنوود ، فعملي ينحصر في القائها ! فهز الشاهد رأسه ، ثم قال :

هل تريد ان تعرف ما فعلته مساء الامس ؟ حسنا . نهـلاً لحظة ..
أجل ، لقد تمشيت مع زوجتي وابنتي مرجريت وخطيبها ، وابنتي الصغير .
ثم امضيت السهرة في المنزل اقرأ حيناً واصغي الى الراديو حيناً .

- الى اية ساعة ظللت تسمع الراديو ؟

- الى الساعة العاشرة ، أويت الى الفراش كعادتي دائماً .

- وما الذي فعله باقي أفراد الأسرة ؟

- لقد أوت زوجتي الى الفراش في نفس الوقت ، أما ابنتي فقد ذهبت
الى السينما مع خطيبها ، على حين ذهب ابني الاصغر الى حجركه مبكراً
واستغرق في نوم عميق .. ولا ريب اني كدت استغرق انا الآخر مثله لولا
ان ايقظتني اخوتي حوالي منتصف الليل لتعرب لي عن قلقها على تيم ثم عادت
واتصلت بي لتخبرني بحضور أحد رجال الشرطة ليسأل عن القس المحترم ،
فأسرعت بارتداء ثيابي وهرعت اليها فوصات بعدك بقليل .

وتمهل كولت لحظة ريثما أشعل غليونه ، ثم قال :

- هل لك ان تخبرني عن برنامج الراديو الذي كنت تسمعه بين الساعة
الثامنة والعاشرة من مساء الامس يا مستر كرتنود ؟

فتبورد ونجه الشاهد حنقاً وغضباً ، وقال :

لست افهم الحكمة من هذا السؤال يا سيدي .

- ان حكمته مع ذلك واضحة لا تخفى على رجل في مثل فطنتك
يا مستر كرتنود . ومع انني ليس لدي ما يبرر اتهام اسرة القتيلين بارتكاب
هذه الجريمة إلا ان من واجبي تحديد ما فعله كل منهم في الوقت الذي حدث
فيه القتل . وقد قلت لي انك كنت تستمع الى الراديو ، ولذلك كان من
المعقول ان أسألك عن البرنامج الذي اصغيت اليه .

- انني لا اذكره .

- هذا من سوء الحظ . فليس في وسمي ان اقنع بهذه الاجابة .

- لقد كنت اقرأ صحيفة مسائية ، فأدرت الراديو حينما اتفق كما انني لم انصرف الى السماع تماماً ولذلك لا أذكر اسم المحطة ولا البرنامج .

- هلا بذلت مجهوداً يسيراً في ايقاظ ذاكرتك يا مستر كرتنوود ؟ الا يمكنك ان تذكر ان كنت قد سمعت محاضرة ، او قطعة موسيقية مثلاً ؟ .

- آه الواقع انها كانت موسيقى ، موسيقى راقصة .

فاكتفى كولت بهذا القول ، ونهض قائلاً : سوف نتقابل ثانية بمسد الظهر يا مستر كرتنوود .

فلما خرج جيرالد كرتنوود ، تنهد كولت وقال : يؤسفني ايها السادة ان أخبركم بنذبا سيء هو غرق الباخرة اوكسين امام ساحل فلوريدا ليلة أمس وفقد كثير من الضحايا .

فنظر اليه دوجرتي في دهشة . وكنت لا اقل عنه عجباً ، إذ لم أدر ما هي العلاقة بين هذه الكارثة البحرية وبين القضية التي نبحثها ، ومع ذلك فقد جلا كولت هذه النقطة ، عندما استطرد قائلاً : وكانت جميع محطات الاذاعات قد توقفت حق لا تشوش نداء الاستغاثة الذي تبثه الباخرة أي انه في الوقت الذي قتل فيه بيزلي وايفلين سوندرز لم تكن هناك محطة إذاعة واحدة تذيع موسيقى راقصة ، أو غير راقصة .

وثب وكييل النيابة على قدميه دفعة واحدة وهو يصيح :

- أعيدوا هذا الوغد إلى هنا ، اقبضوا عليه سريعاً ، هذا المنافق الكذاب !

فهدأ كولت من روعه باسماً وهو يقول :

- مهلاً يادوجرتي ! أية فائدة ترجى من اشعار كرتنوود بأننا نعلم انه قد كذب علينا ؟ أليس الأفضل أن ندعه مطمئناً ثم نراقبه جيداً ؟

وتحول إلى المفتش لنجل فسكغه بأن يضع وراء جيرالد كرتنوود من يقتفي أثره ليلاً ونهاراً ، وان يتحرى أكبر قسط من المعلومات عن اسرتي القتيلين ، وعن مسألة تهمة كثيراً ويريد جلاءها وهي : هل كانت علاقة القس بايفلين معروفة بين أفراد الأبرشية .

وأردف قائلاً :

ان اغرب نقطة في القضية في نظري هي اصرار الاسرة على انكار هذه العلاقة ، مع انه ما من ريب في وجودها ، وفي علم آل كرتنوود بها . ولعلهم ينكرونها درءاً للفضيحة ، ولكن في مثل هذه القضية الخطيرة يجب ان يعرف البوليس كل شيء .

فلما مضى المفتش لنجل لتنفيذ مهمته أمرني كوات بإحضار ويلى
سوندرز وابنته ، على ان استوثق اولا من ان الخادم قد ابدل اكرة الباب
بأخرى (عذراء) .

ووجدت الرجل وابنته متلاصقين على احدى الارائك ، وقد هدهما
الحزن والفرع ، والفتاة تبكي بكاء اليا . وكان ويلى سوندرز رجلا مقتول
العضلات قصير القامة طويل الذراعين ، على حين كانت ابنته - وهي
لا تعدو الخامسة عشرة - نحيلة القوام لا تخلو طلعتها من وسامة .

واقتصدتها أمامي إلى المكتبة ، فجلسا متجاورين أمام كوات
ودوجرقي ، وبدأ الرئيس اسئلته قائلا : ما الذي تعرفه عن رقم ١٣ سانجستر
تراس يا مستر سوندرز ؟

فنظر اليه الرجل وهو لا يزال وجلا مذعورا ، وقال :

- لا شيء .. انها المرة الاولى التي اسمع فيها هذا العنوان .

- الا تعلم ان زوجتك كانت تذهب الى هناك دائما ؟

- هذا كذب ، وكل من تسول له نفسه بأن يذكر زوجتي بسوء فسيكون
لي معه شأن وأي شأن . لقد كانت ايفلين زوجة مخلصه وأما عطوفا .

- ما هي مهنتك ؟

- حارس ليلى لليخت فالياخت الذي يملكه الكومودور ليتون ، وهو
يرسو أمام الشارع السادس والثمانين .

- ولماذا لم تذهب لعملك هذا المساء ؟ لقد وجدك رجالنا في
منزلك ؟

- كان كل شيء هادئا فوق ظهر اليخت ، وشعرت برغبة ملحة في ان

احتسي كأساً من الخمر ، وهكذا عدت إلى المنزل .

- متى غادرت البيخت ؟

- في الساعة الثامنة .

- ولكنك كنت لا تزال في المنزل عند منتصف الليل ؟

- لقد كانت ابنتي ايزابيل منقبضة النفس وحيدة .. فقد نصح الطبيب لايفلين - على اثر ابلاها من مرض ألم بها - ان تذهب لتبديل الهواء في الريف .. فسافرت هذا المساء في رحلة لمدة اسبوع ، ومعها حقيبتها ، الى شقيقة لها تقيم في واكسلي .

- ومن أي مرض كانت تشكو ؟

فتصدت ايزابيل للاجابة قائلة :

- لقد كانت متعبة منذ بعض الوقت ، وظننت نفسها حبلى .. ولكن عندما استشارت الطبيب قال ان بها اضطراباً عصبياً .

- ومتى عرضت نفسها على الطبيب ؟

- منذ ثلاثة أشهر أو أربعة ، فقد كان الثلج يتساقط يوم ذهبت الدكتور جورج توماس . فشكرها كولت ، ثم سأل اباما عما فعله ليلة أمس ، فتصدت ايزبيل للاجابة مرة ثانية وقالت انه كان ثللاً إذ شرب كثيراً من الخمر ليفرق فيها شجونه التي أملت به من سفر والدتها ، حتى اضطرت لوضعه في فراشه .. وكانا وحدهما في المنزل .

واشعل كولت غليونه ثم عاد يسأل الرجل :

- هل كانت العلاقة على ما يرام بينك وبين زوجتك يا سوندرز ؟

- كلا .

وعقد الشاهد ذراعيه فوق صدره ، ثم استطرد قائلاً :

- كان لا بد أن يأتي يوم يقع فيه الانفجار ، فان بيزلي كان يريد أن يفرض سلطانه في منزلي ، بعد أن اكثرت زوجتي من الشكوى اليه باختلاق الأكاذيب عني .. وقد سمعت أنه نصح لها بأن تهجر هذا الزوج السكير وتأخذ ابنتها .. تأخذ عزيزتي مني ! فلم اطق صبراً على ذلك وأمرتها بالألا توى المحترم بيزلي قط .

كيف كانت الحالة النفسية لوالدتك عندما فارقتك هذا المساء يا ايزابيل ؟

- كانت تبكي .. وكلما قلت لها أننا سوف نلتقي ثانية بعد أيام معدودات امعنت في البكاء .

كانت كأنها تودعني الوداع الأخير ، وهو ما حدث فعلاً .

- وكيف لم تصحبها إلى المحطة ؟

- لقد منعتني من ذلك منعاً قاطعاً ، محتجة بأنها لا تحمل هذا الموقف الأليم ، فسرت معها الى محطة سيارات الأجرة القريبة من منزلنا ، وظلت تشير لي بمنديلها من نافذة السيارة حتى اختفت عن انظارني .

- ألم تتحدث والدتك بالتليفون الى القس بيزلي قبل رحيلها ؟

- لقد تحدثت الى شخص ما حوالي الساعة السابعة إلا ربماً ، ولكنني لا اعرف من هو .. وقد سمعتها تقول « في الساعة الثامنة تماماً » قبل أن تضع المسامع في مكانه .

فتحول كولت الى وبلى سوندرز ثانية ، وقال :

- هل كنت تعلم ان زوجتك كانت تثق بالقس بيزلي الى هذا الحد ؟

- طبعاً .. وكيف لا تثق به وقد كانت تعمل سكرتيرة له خلال عامين ؟

فتدخل دوجرتي في لفة شديدة :

- تقول ان زوجتك اشتغلت سكرتيرة له لمدة عامين .. متى كان ذلك ؟

- لقد تركت هذا العمل منذ ثلاث سنوات ، لأنها لم تتفق مع مسز بيزلي التي تريد ان تسير الابرشية على هواها .

فقال كولت : هل تعلم من سبقها في هذا العمل ومن خلفها فيه ؟

- لقد خلفتها امرأة تدعى ايماهيكس .. أما التي كانت قبلها فأظنها تدعى بيسي ستوير .

فشكره كولت ، ثم سأله منذ متى يقيم في نيويورك فأجاب :

- منذ بضعة أعوام فقط ، فقد كنت أقيم في روكفيل وأعمل نجاراً متخصصاً في بناء القوارب والسفن ، ولكنني سقطت ذات يوم من عل ، وأصبت بكسر في ظهري ، فاصبحت لا أستطيع الاستمرار في مهنتي الشاقة ، ولا أدري ماذا كان سيحل بي وبايفلين والصغيرة ، لولا ان قبض الله لي الكومودور ليتون الذي الحقني بخدمته .

- انني أريد ان أطرح عليك سؤالاً صريحاً ، فهل تظن ان العلاقة بين زوجتك والمحترم بيزلي كانت .. كانت مريبة ؟

- يبدو لي أنها سهلة الحل إلى حد بعيد ، فلدينا الآن بعض الحقائق التي لا يمكن تجاهلها .

وراح وكيل النيابة يعد علي أصابعه : (١) كان ويلي سوندرز يعلم ان زوجته واقعة تحت تأثير بيزلي (٢) وهو رجل سكير تخرجه الخمر عن أطواره (٣) عاد لمنزله ثلثا وترك عمله بلا سبب جدي (٤) وجدت الجثتان في قارب ، وهو باعترافه نجار متخصص في بناء السفن (٥) لا ريب انه وابنته يعرفان حقيقة العلاقة بين ايفلين والقس .

- انه عرض جيد للوقائع يا دوجرتي ، ولكن بعضها مع الأسف يتعارض مع اشياء أخرى لا ينبغي ان نتجاهلها ، فكيف استطاع ويلي سوندرز ان يتسلل الى منزل سايكستر تراس ليبني فيه قاربا ؟ وابن ذهببت ساعة القس وخاتم زواجه ؟ ولماذا كذب علينا جيرالد كرتنود ؟ هل لتغطية مركز سوندرز ؟ هذا محال طبعا ، ومن المحتمل ان يكون بريثا ولكن كذبه هذه غير مفهومة ، وثمة شيء آخر ، فان هذه الجريمة المزدوجة تبدو وليدة تدبير محكم ، ولولا ان أقاحت لي الصدفة المجردة العثور على ورقة من شجرة لمكثنا طويلا نتخبط في الظلام ، وهكذا ترى انني لا استطيع الأخذ بنظريتك ، دون ان يكون في ذلك ما يتعارض مع احتمال صحتها .

وبعد لحظة كان بين أيدينا تقرير الطبيب الشرعي ، بما يفيد ان الضحيتين قتلتا برصاصتين من عيار ٢٢ ، وقد حاول القاتل فصل رأس مسز سوندرز ، بعد وفاتها ، كما انها لم تكن حاملا .

وظل دوجرتي صامتا برهة ثم سأل رئيسي عما ينوي عمله الآن ، فأجابته :

- ينبغي قبل كل شيء أن نجد بيبي ستروبر ، السكرتيرة التي سبقت مسز سوندرز في خدمة القس .

— أعتقد أننا امام جريمة باعشها الانتقام من سكرتيرة مفصولة .

— كلا .. لست اعني هذا البتة ، ولكنني اريد ان أعرف ما تعلمه عن بيزلي ، ولذلك سأسمع ايضاً أقوال السكرتيرة الخيالية ايما هيكس .

وقطع علينا الحديث دخول أحد المخبرين يرتدي ثياب العمال الذين يغسلون نوافذ المكاتب والمتاجر ، فألقى عليه كولات بعض الأوامر وصرفه ثم تحول الي قائلاً :

— سوف يغسل فلنت اليوم نوافذ مكتب جيرالد كرتنود ، وسيخبرنا بكل ما يحدث هناك ، كما انه سيصل اسلاك التليفون بآلة خاصة معه ليسترق السمع كلما استعمل جيرالد تليفونه ، فان لهذا الرجل في نظري أهمية عظيمة .

وتواعد دوجرتي وقاتشر كولات على اللقاء في إدارة الشرطة عند الظهر . وسبقني الرئيس الى هناك على حين مضيت لقضاء بعض لوازمي الخاصة ، حتى إذا ما وافيته بعد ربع ساعة ، إستقبلني قائلاً : لقد جدت أشياء كثيرة في قضية بيزلي وسوندرز يا توني ، فأعد مذكرتك وتأهب لكتابة ملخص التقارير التي تلقيتها الآن : لقد اسفر التحري عند بائعي الخشب عن نتيجة ايجابية ، فقد اشترى الخشب الذي بنى به القارب من محل جارسون وهيس ، في أوائل ابريل ، وسلم بناء على أمر المشتري الى رقم ١٣ سانجستر ترام حيث أدخل من نافذة كبيرة بالطابق الارضى ، وقد وصف عامل المحل الذي قام بتسليم الخشب المشتري بأنه « سيد قصير القامة ، بدين الجسم شاحب الوجه يبدو في سماء الحياء والخوف » .

فتبادلت وكولات نظرة صامتة ، دون ان يحرؤ احدهما على النطق بذلك الشك المعجيب الذي قام في نفسيهما . وأخيراً استطرد كولات يلبي علي :

- وقد تبين ان جوزيف توسيل وصديقه الصغيرة لا علاقة لهما بالحادث على اية صورة ، كما ان خير الخطوط قد اثبت ان الخطاب الذي وجدناه بحبيب بيزلي قد كتب بخط القس نفسه ، أما البرقية المرسلة الى كراوس ، الحارس الليلي لسانجستر قراس ، فظهر من التحريات انها ارسلت من مكتب البريد ببروكلين ، كما يذكر الموظف المختص ان مرسلها سيد قصير القامة يبدو عليه القلق والتجمل .

- يا الهي ان هذا الوصف يطابق الرجل الذي اشترى الخشب ؟

- تماماً ، الحق معك ، وقد وصل فيجلي الى نتيجة طيبة في سؤاله للملاحظ ، إذ حدثه عن اجتماع عقد في الكنيسة بمكتب القس ، وحضره المحترم بيزلي وزوجته ، وجيرالد وبادي كرتنود وشخص آخر يدعي أليري شادويك ، وهو مدير املاك الابرشية ، ويبدو انه وجيرالد الحاكمان بأمرهما في شؤون الابرشية جميعاً ، وكان المقصود من هذا الاجتماع املاء إرادتهما على القس ، وقد اعترف الرجل ان شيطان الفضول قد اغراه باستراق السمع فتبين ان شادويك قد بلغته امور عن علاقة بيزلي بايفلين سوندرز ، وانها يخلوان ببعضهما كثير ، فاستأجر بعض الخبيرين الخصوصيين لاقتفاء أثرهما ، ومن العجيب ان هؤلاء الخبيرين مع تأييدهم لوجود هذه العلاقة بين القس وسكرتيره السابقة ، فانهم لم يذكروا شيئاً عن سانجستر قراس ، على حين كان هذا المنزل عش الغرام الذي يجتمعان فيه منذ عامين ، وقد قاوم بيزلي متهميه مقاومة عنيفة ، واعترف بأنه يصحب مسر سوندرز احياناً في نزهة بالسيارة حقاً ، ولكنه نفى نفياً باتاً وجود علاقة مريبة بينهما ، واخيراً وعد بالامتناع عن رؤيتها ، ويعترف الملاحظ بأنه سمع ويللي سوندرز يقول عن القس « سوف يعرض اصابعه ندماً على معرفتي ومعرفة زوجتي » وايد اعترافه بعض من كان حاضراً هذا الوعيد .

— اذن فلم تكذب مسز بيزلي في هذا القول ؟

— كلا .. ولا ويلي سوندرز ايضاً عندما حدثنا عن ميلل بادنجتون كرتنود الى اقتناء المدى والسكاكين ، ولكن ذلك لا يفيدنا في شيء ، إذ ان بادنجتون ليس نجاراً ومن المحال ان يصنع قارباً بمفرده ، وفي الوقت نفسه ذكر طبيبه الذي يرعاه منذ طفولته انه مصاب بنوع من الجنون الخفيف ، يميل به نحو حب البتر والتقطيع ، ولو انه تعلم الطب لغدا من اعلام الجراحين .

وقبل ان أعلق على هذا القول بكلمة ، دوي جرس التليفون ، وظل كولت يصغي برهة ثم وضع الساعة وقال : ان فيجلي ولنجل من الابطال . فقد تحقق الاول ان مسز سوندرز هي التي اتصلت بالقس تليفونيا في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء الامس ، ولكن هذا لا يكاد يذكر بجانب ما ذكره هولي نفسه من ان شخصاً ما قد اتصل من تليفون رقم ١٣ سانجستر تراس في الساعة التاسعة وبضع دقائق من ليلة أمس بجيرالد كرتنود وقد نسي مستر كرتنود المبجل ان ينبئنا بذلك ولكنني ساضطر الى انعاش ذاكرته .. هذا وقد علم فيجلي من امرأة تدير مشرباً للشاي بالقرب من سانجستر تراس ، وان بيزلي وايفلين سوندرز كانا يترددان كثيراً على مشربها وقد سمعتهما ذات يوم يتحدثان عن مخبأ في الكنديسة نفسها يتخذانه صندوقاً للخطابات .

واستغرق كولت في التفكير برهة ثم عاد يللي علي :

— وقد اثرت تحرياتنا عن علاقة القس بتملك المرأة ، فعلينا ان بعض افراد الابرشية كانوا يراقبون في وجود هذه الصلة ، ولكن الفضيحة لم يتسع نطاقها الى حد ذيوها بين الجميع ، ومهما يكن من أمر فقد تحقق لدينا الآن أن آل كرتنود قد كذبوا كذباً صراحاً عندما زعموا ان هذه الصلة لم توجد قط .

- وهل كان ويلبي سوندرز على علم بها ؟

هذا ما لم أتحمقه بعد ، وأخيراً فلدينا قصة ، صغيرة عن أشباح قيل أنها كانت في العهد الأخير تظهر في كنيسة القديس ميشيل بين آن وآخر ، وكان ذلك موضع حديث الجميع في وقت من الاوقات .

وبعد ان فرغ كولت من املاء تقريره ، استطرد قائلاً :

- اما الآن فعلينا ان نستمع الى سكرتيرتي بيزلي ، وهما تجلسان في هذه اللحظة عند الكابتن هنري ، واني اعلق على شهادتها اهمية بالغة . إذ استطيع أن اعرف شيئاً عن حياة المحترم بيزلي الخاصة وميوله المختلفة ، وسنرى الآن مس بيسي ستروبر ، سكرتيرته الاولى ، ولكن عليك ان تتحقق اولاً من انهم قد استبدلوا اكرة الباب كالمعتاد .

وبعد قليل كانت بيسي ستروبر تجلس أمامها ، وهي فتاة ضئيلة الجسم بسيطة المظهر ، سلبتها الطبيعة كل مظاهر الأنوثة والجمال ، ترتدي ثياباً متواضعة ولا تتعلى بشيء سوى قرط يبدو انها ورثته عن جدتها . غير انه استرعى نظري فيها ما يبدو في عينيها من كآبة وألم مكبوت .

وتلخص شهادتها في انها تقيم مع أهلها ، وهم من التجار ذوي اليسار ، وانها عندما أتمت دراستها راحت تتلقى دروساً في الاختزال والسكرتارية ، حتى نالت شهادتها ، وعندئذ عرض عليها المحترم بيزلي ، وكان يعرفها من تردددها على الكنيسة ، ان تشتغل سكرتيرة له ، فظلت في هذه الوظيفة نحو ثلاث سنوات حتى ادركها الكلال وأشار عليها الطبيب براحة طويلة . فلما عادت الى نيويورك وجدت القس قد شغل وظيفتها بمسز سوندرز .

فلما سألتها كملت عما إذا كانت تعتقد إن بيزلي كان على علاقة حب مع مسز سوندرز أجابت وقد تورد وجهها حياء :

... انني أعرف ان ذلك قد أشيع في وقت ما ، ولكنني وقد عرفت المحترم بيزلي حق المعرفة ، أعلم أنه رجل طموح ما كان ليرضى بأن يحطم مستقبله من أجل امرأة .

ولم تقدمنا اقوال بيبي ستروبر خطوة الى الأمام ... وكانت تجيب على اسئلة كملت في صراحة ووضوح ، ولكنها لم تكن بذات أهمية .

وخلفتها في المقعد مس اياميكس ، وهي عانس متقدمة في السن ثائرة ما كادت تدخل الحجرة حق اندفعت تقول :

انني اعلم انك دعوتني لتسألني عن العلاقة بين المحترم بيزلي المسكين ، وتلك الاعمى ايفلين سوندرز ، وفي رأيي ان المسؤولية كلها تقع في مثل هذه الأمور على عاتق المرأة ، أما الرجل فضعيف لا يستطيع ان يقاوم الاغراء طويلا .

... إذن فأنت لا تلومين المحترم بيزلي على مسلكه ؟

... أبداً .. فقد ظل هذا الرجل طول حياته ضحية للنساء .. ولماذا ؟ لأنه طيب القلب لا يستطيع الدفاع عن نفسه .. فزوجته تضايقه من مطلع الشمس إلى غروبها ، وتريد ان تضعه تحت الوصاية دوماً ، بل لا تتورع عن تأنيبه جهاراً .. وأما ايفلين سوندرز فامرأة خليعة مبتذلة ، لا أعدو الواقع ان قلت أنها خطيرة على كيان الأسر السعيدة ، وأناي لأعجب كيف استطاع المحترم بيزلي ان يقاوم طويلاً قبل ان يقع في شركها .. أقول

ذلك لأنه يكفي ان تقترب أية امرأة من القس لتعلم إلى أي حد كان متقد
العاطفة ملتهب الحواس .

- هل تعتقدن أنه كان سعيداً في بيته ؟

- أنه لم يكن يزيد أو ينقص عن معظم الأزواج ، ولكنه واليزابيث
كرتنوود لم يكونا زوجين مثاليين ، فهي باردة العاطفة ، متحفظة ،
متباعدة نفور ، لا مطمع لها إلا ان تغدو زوجة مطران ، وهو مطمع كان
يشاركها فيه زوجها نفسه ، مما يجعل الاشاعة التي ذاعت في الابرشية بعيدة
عن التصديق :

- أية اشاعة يا مس هيكس ؟

- لا ريب انك تعرفها ، فقد قيل ان بيزلي وايفلين سوندرز يزعمان
الفرار معاً .

- وما رأيك في هذه الاشاعة ؟

- لا رأي لي فيها ، ولكن هناك حقيقة ملحوسة ، هي ان المحترم
بيزلي كان يجمع في الآونة الاخيرة نشرات السياحة والأسفار ، لا في أوروبا ،
ولكن في بلاد الشرق النائية كالصين والهند وسيام ، وقد فاجأته ذات
يوم فكنت أراه يقلب أوراق النتيجة ويعمد الايام على أصابعه ، وفي
مرة ثانية سمعته يتصل تليفونيا بأحدى شركات السياحة ويسأل عن ثمن
التذكرة .

- ألم تسمعيه يجدد تاريخاً ؟

- منذ زهاء شهر ، ومن العجيب انني لم اسمعه قط يتحدث إلى امرأته
عن هذه الرحلة ، بل انه كان يعد معداتها في خفاء شديد .

- أكان يطلب تذكرة أم اثنتين ؟

— لقد سمعته يطلب تذكرة واحدة .

— هل تعرفين شيئاً عن أليري شادويك ؟

— ما الذي تريد معرفه عنه ؟ الخراب الذي مني به في البورصة اخيراً ؟ أم حبه لمسز بيزلي ؟ فلم تتحرك عضلة واحدة في وجهه كولت بل قال :
حدثيه بكل ما تعرفينه عنه .

— لقد كانت اليزابث كيرتنوود قبل ان تتزوج من بيزلي موضع حب رجلين هما الكولونيل باول المحامي المعروف ، ثم مستر شادويك ، وكان بعض ذوي الألسنة الحادة يقولون ان شادويك كان يسعى لثروتها ، وانه حق بعد زواجها ، كان لا يفتأ يحاول ان يثبت لمسز بيزلي تهتك زوجها وغرامياته حتى إذا ما طلبت الطلاق منه ، غدا شادويك في الصف الاول من طلاب يدها ، مع ان مسز بيزلي لم تحب أحداً غير الكولونيل باول ، ولا تزال توليه الكثير من عطفها .

— ولما فسخت خطابتهما له ؟

— لأنه ملحد لا يعتقد في الله ولا الشيطان ، على حين انها شديدة التدين .

وذكرت الشاهدة قبل ان تنصرف ان القس كان في بعض الاوقات يخلع ثوبه الكهنوتي ، ويخرج خفية في ثياب عادية ، وكان في الآونة الاخيرة يبدو مهموماً ، كما كان هناك من يقتفي أثره من صنائع شادويك وجيرالد كرتنوود ، وقد اخبرت القس بذلك .

فنظر كولت إلي بعد خروجها نظرة ذات مغزى ، وقال :

— الآن عرفنا لماذا لم يكتشف المخبرون منزل سانجستر تراس .

ولم يتم عبارته إذ اقتحم الغرفة الشرطي الذي كان يترصد حركات جيرالد كرتنود ، وذكر ان الاخير قد أرسل برقية الى الكولونيل بول على ظهر باخرته يطلب مقابلته بمجرد نزوله الى الميناء وانه بعد ذلك اقفل تليفونيا بابنه الصغير وقال له :

- هل اتمت المهمة يا صغيري ؟ حسناً ، والآن اصنع الي ، عليك ان تأخذ اللغافة تحت ذراعك وتذهب الى محطة جراند سنترال حيث تستقل القطار إلى نيوروشيل ، وهناك تمضي إلى شخص يدعى ريتسكي ، صاحب مصبغة وحانوت للغسيل يجوار المدرسة الثانية ، وتعرفه بنفسك وتقول له ان هذا الشيء يجب ان ينظف مما به للتو علي أن يبقيه لديه حتى ابعث من يحضره من عنده .

وسرعان ما أمر كولت طائرة البوليس بأن تخف إلى نيوروشيل ، قبل وصول قطار نيويورك وانت يقوم الكابتن هولاندر بضبط هذه اللغافة واحضارها مع كرتنود الصغير إلى كولت .

فلما حضر دوجرتي وتلوت عليه مذكراتي كاد يطير فرحاً بالنتائج التي وصلنا اليها ، وكان من رأيه ان نقبض على جيرالد كرتنود في الحال ، وقبل ان يرد عليه كولت قرع جرس التليفون فتناول الرئيس وراح يصغي قليلاً ، ثم قال : سوف احضر حالاً .

فلما وضع المسامع مكانه ، تحول اليها وعيناه تتألقان اهتماماً وهو يقول :

- لقد كلمني أحد رجالنا من منزل القس ، فقد عثر على ساعة القتل ونخاتم زفافه في درج المكتب الخاص بمسز بيزلي .

ودرجت السيارة بثلاثتنا حثيثاً صوب بيت التمس ، وكان مكوات صامتاً ، فحدوت حدوه ، ولكن دوجرتي لم يطق صبراً ، فقال :

- ان اخفاء مسز بيزلي للساعة والخاتم في درج مكتبها لأمر ذو مغزى يا عزيزي كولت ولا تفس انها حاولت ان توجهه شكوكنا نحو ويلى سوندرز وان جيرالد كرتنوود ذكر لنا دليل نفي كاذب ، وان بادنجتون ذو ميل الى البتر والتقطيع ، واخيراً ان جيرالد أرسل قطعة مسـا من الثياب لتنظف حالاً .

فخرج كولت عن صمته ليقول له : لقد نسيت ان تذكر ايزابيل سوندرز وأباها والهرة !

- اسخر ما شئت ، ولكنني قد كوفت رأيي ، فان مسز بيزلي غارقة في الجريمة الى أذنيها .

فلما بلغنا المنزل كان المفتش لنجل في انتظارنا عند الباب ، فقال لرئيسي ان جيرالد كرتنوود يحضر منذ برهة ومعه الكولونيل باول المحامي الذي أراد طرد رجال البوليس بحجة انهم لا يحملون أمراً قانونياً بالتفتيش ، واكتفى أخيراً بأن يمنهم من الاستمرار في تفتيش المكان .

- واين مسز بيزلي الآن ؟

- في فراشها ، فقد ادعت المرض لتغلق بابها في وجهنا .

- وابن الساعة والخاتم ؟

- انها معي ، وقد حاول باول ان يستعيدهما ولكن عبثا أراد ..
هاما .

وكانت الحليتان ملفوفتين بعناية في منديلين من الحرير ، فراح ككولت يفحصهما بينما استطرده لنجل : وقد استحال على الاقتراب من مسز بيزلي فلم اعرف قعليهما لوجودهما في مكتبها .

وولجنا المنزل ، فباذا بالكولونيل باول ، وهو كهل عريض المنكبين أنيق الهندام ، ينتظرنا في قاعة الاستقبال ، فتقدم نحو الرئيس يحبيه في حرارة ، وما لبث ان قال :

- انتي يا عزيزي كولت نهب بين سروري للقائك ، واسفي لأن يكون هذا اللقاء في ظرف البسة كهذه ، فما كدت أغادر الباخرة حق وجسدت خير اصدقائي فريسة بين يديك ، فما الذي أصاب ذكاءك وحصافتك يا كولت ؟ انني أول من يعترف ببشاعة هذه الجريمة المزدوجة ، ولكني كذلك أول من يحتاج على أرهائك أرملة محترمة مسكينة لم تفق بعد من صدمة الكارثة المروعة التي نزلت بها ، وملء بيتها بالجواسيس والمخبرين . كيف حالك يا مستر دوجرتي ؟ ألا تزال وكيلا لانيابة ؟ ولكن لا ريب انك من الامام بقانون تحقيق الجنايات بحيث تدرك ان الاجراءات التي اتبعت حق الآن باطلة كلها ، وقد اوقفتها جميعا لخالفتها للقانون .

فقال كولت في هدوء :

- هل أفهم من ذلك ان مسز بيزلي قد رأت ان تضع مصالحها بين يدي
محام ؟

- لقد فرضت ذلك عليها فرضاً ، بعد ان رأيت تحاملهم عليها ايها السادة ، وإلى ان تستعيد هذه السيدة النبيلة قواها ، فلن يتم تحقيق أو تفتيش ولكنهما عندئذ سوف ترى من واجبه ان تجيب على اسئلتكم وتضع بسين أياديكم مفاتيح بيتهما .

فاندفع دوجرتي قائلاً :

- إذا كان موكلوك ابرياء فماذا يخشون من هذا التفتيش ؟ لقد كذب جيرالد كرتنود عندما قال انه كان يستمع إلى الراديو ، على حين اننا نعلم ...

فقاطعه الهامي مبتسماً :

- ان مستر كرتنود رجل اعمال يا دوجرتي ، ومثل هؤلاء تخدم دائماً مشردي الذهن . وأنا أقول لك أنه لم يستمع للراديو ، ولكنه بينما كان يطالع صحيفته كانت زوجته تعزف على البيانو قطعة موسيقية راقصة فغفل اليه ان الصوت ينبعث من الراديو ، وهذا كل ما في الأمر ، وأنا لا أراه يثير شكاً أو ريبة .

فقال كولت : بديع جداً يا عزيزتي بول ! انه تعليل بارع كل اليراعة !

- وهكذا بقية شكوكم يا كولت ، فقد غاليتم كثيراً في شأن وجود الساعة والخاتم بمكتب مسز بيزلي ، فان هذه الساعة جديدة كانت تنوي مسز بيزلي ان تقدمها لزوجها المنكود في الاسبوع التالي هدية في عيد ميلاده وهو لم يضعها في يده قط ، فاذا كانت ساعته الأصلية قد فقدت ، فانها ساعة أخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف ، أما الخاتم فأمرد أمون شانا إذ كان بيزلي قد خلعه من أصبعه في الحمام وهو يخلق فوجدته مسز بيزلي وأخذته الى حجرتها لتعيده اليه عند رجوعه .

- وهل تعلم ان مستر جيرالد كرتنوود قد تلقى ليلة أمس محادثة
تليفونية من المنزل رقم ١٣ سانجستر تراس ؟

- هذه أول مرة اسمع فيها ذلك .

ولم يطق دوجرتني صبرا على سخرية المحامي فغادرنا منفعلًا في طريقه
الى مكتبه ، واعدًا ان يبعث الى كولت بأمر التفتيش بمجرد الحصول عليه
من قاضي التحقيق ، فلما انصرف قال كولت لالكولونيل باول : هناك نقطة
واحدة أود ان أسمع تعليقك لها ، فقد أجمع أهل القتل على انكار وجود
أية علاقة مريبة بينه وبين مسز سوندرز في حين اننا نعلم بوجود هذه
العلاقة منذ زمن طويل ، فكيف يبرر كذبتهم هذا ؟

فألقى باول رأسه وهو يقول في اكتئاب :

- الواقع ان هذه نقطة جدية يا كولت .. وأقول لك فيما بيننا ان هذه
العلاقة كانت قائمة حقًا ، وانني وأخوة مسز بيزلي كنا على علم بها . ولكن
مسز بيزلي كانت تجملها ، وبذل اخوتها جهد المستميت في اخفائها عنها .
ومن ذلك ترى انهم لن يمتروا بها قط مهما سقت اليهم من أدلة
وبراهين .

فتنهد كولت ، وغمغم :

- لقد عرفت مسز بيزلي كيف تختار محاميها ، والآن هل تسمح لي
يا عزيزي باول بأن افتش الكنيسة ومكتب بيزلي الخاص فيها ؟

- انها تحت مطلق مصرفك افعل بها ما تشاء .

فمضيت وكولت الى امر مكشوف يصل ما بين المنزل والكنيسة ، ما
كدنا نعبره حتى وجدنا بابا يؤدي الى حجرة صغيرة مربعة ذات نافذة واحدة

قطل على حديقة صغيرة مهجورة ، وبها أثاث بسيط يحيط بمكتب صغير
عتيق الطراز كان القس يستعمله ، فراج كولت يفحص كل شيء في الحجرة ،
بعد ان القى نظرة على الأوراق التي قام لنجل بفحصها في الصباح وأخرج
منها كل ما رأى أنه قد يفيد التحقيق .

واسترعت نظر كولت بعض الصور الصغيرة التي تمثل القس وايفلين
سوندرز ، وأخرى كبيرة كانت تزين الجدران وتمثل صور القديسين وبعض
المشاهد التاريخية الدينية ، بيد أنه كانت بينها صورة تمثل جماعة من الناس
في رحلة خلوية في الريف ، ذات يوم من أيام الخريف بسلا ريب إذ كانت
السيدات يرتدين معاطفهن وقفازاتهن ، وكان يبدو من طراز الشباب التي
يرتدينها ان الصورة قد التقطت منذ خمس سنوات أو ست ، وكان بيزلي
وزوجته ، وهي ترتدي معطفاً أنيقاً طويلاً ذا ياقة وأكمام من الفراء ، يقفان
في الوسط ، وحولهما فتيات وفتيان من أبناء الطائفة ، ومن ان كولت كان
يوجه اهتماماً غريباً الى صورة إحدى الفتيات اللواتي يمثلن المنظر، وما لبث
ان أشار بأصبعه اليها قائلاً :

— تأملها جيد يا توني ، الا قراها جميلة ساهرة ؟ لعمري انه تبديل
عجيب !

فلما ابدت دهشتي وعدم فهمي لما يقول ، غغم في ابتسامة عريضة ،
ألا تعرفها ؟

فرحت أتأمل مرة ثانية ذلك الوجه الجميل التي يشير اليه كولت ، فلم
أعرف صاحبتة ، وان كان قد خالطني شعور خفي بأنني رأيت هذه الملامح
من قبل .

— يا عزيزي توني ، أنك لن تغدو يوماً قوي الملاحظة ، ألا قد ذكر
هذا القرط ؟

وتركني الرئيس في ذهولي ، ثم فتح الباب الذي ولجناه منذ قليل ، ودعا المفتش لنجل قائلاً :

— ان لدي مهمة عاجلة بالغة الأهمية اود ان أكلف بها أحد رجالك .

ثم راح يصدر أوامر المفتش في صوت خفيض لم اسمع منه شيئاً ، حتى إذا ما فرغ من حديثه ، عاد ليفتح الباب الثاني للحجرة ، فإذا بنا نجد نفسينا في كنيسة القديس ميشيل .

كانت الكنيسة صغيرة مستطيلة الشكل وقد ارتفع مقعد الكاهن في أحد جوانبها ، على حين امتلأ سائرها بالمقاعد الممتدة في صفوف متوالية بمعرض القاعة مع ممر ضيق بينها يؤدي إلى باب الخروج .

وبينا كنت وكولت نجعل انظارنا بين النحائيا ، فتح ذلك الباب بفتحة وبدأت منه مس ايما هيكس — سكرتيرة القس الأخيرة — وفي صحبتها رجل قصير القامة مترهل الجسم تبدو في سياه الصرامة ، فقالت : لقد أخذت على عاتقي ان أحضر مستر شادويك لمقابلتك يا مستر كولت .

وما كان الرجل يحيي الرئيس حتى اندفع في محاضرة طويلة دفاعاً عن الكنيسة وسمعتها ، ثم دفاعاً عن مسز بيزلي وأخوها ، فتركه كولت يتكلم وأخيراً قال له بعد ان نفذ صبره :

— انني يا مستر شادويك بسبيل اكتشاف قاتل المحترم بيزلي والمسز سوندرز ، فهل لديك معلومات تلقى ضوءاً على هذه الجريمة ؟

— كلا ..

— أكنت تعرف بيزلي جيداً ؟

— منذ سنوات عديدة ، فقد كان مرشدي الروحي وصديقي .

— ألم يسر اليك يوماً انه يخشى انتقام عدو له ؟

— كلا ..

هل كنت على علم بعلاقته بمسز سوندرز ؟

فانفجر غضب شادويك ، وقال : ان المكان ، أربلا ، لا يليق فيه مثل هذا الحديث ، ثم ..

فقاطعه كولات في صوت كحد الحسام :

— لا فائدة لك من ان تركب رأسك يا مستر شادويك ، فاننا نعرف كل شيء هذه العلاقة وعن الاجتماع الذي عقد في مكتب القس ، بتحريض منك .

فطأ الرجل رأسه ، ووطأ من من كبريائه ، ثم قال :

— ان ما سمعته صحيح يا مستر كولات ، فاني عندما علمت بالخراف قدسنا وراعينا عن الطريق القويم أردت محافظة على سمعة الطائفة ان ...

— حسنا ، انني أعرف الباقي ، فهل لك الآن ان تخبرني هل سمعت عن الأشباح التي كانت تظهر في الكنيسة ؟

— أشباح ؟ انها قصة خرافية يا سيدي .

— ألم يبلغ سمعك ان بعض الفتيات كن يستعدن أدوارهن في تمثيلية دينية بمسرح الكنيسة بالطابق الأسفل ، فأين شبحاً في الكنيسة ؟

— هل تعني هذه السخافة التي اذاعتها فتيات طائشات ؟ لعمرى لقد نسيتها .

— من المحزن ان ذاكرتك ضعيفة يا مستر شادويك ، ولكني أرجو الا تنسى شيئاً بعد ذلك هلا قصصت علي أمر هذا الشبح بالتفصيل ؟

فتدخلت ايما هيكس ضارعة :

- دعني اتولى عنه هذه المهمة يا مستر كولت ، كان منشأ هذه الخرافة فتاتين خرقارين زعمتا انها صعدتا الى الكنيسة ذات مساء لتبحثا عن كتاب خاص باحدهما ، فما كادت الأولى تفتح الباب حتى صاحت فزعاً ، وزعمت انها رأت شبحاً ابيض يمثل امرأة شابة ، يقف وراء مقعد القس .. وفي مرة ثانية زعمت عبجوز من الجيران انها رأت الشبح نفسه يجتاز الحديقة ويلج الكنيسة وهي مخلقة ليلاً .

فصاح شادويك : هذا محض اختلاق .

- انني يا مستر شادويك أعلق أهمية قصوى على هذا الأمر ، فإذننا نعلم ان القس بيزلي وايلين سوندرز كانا يتخذان نجاً خاصاً في الكنيسة لاستخدامه كصندوق للمخطبات التي يتبادلانها .

فجعل الرجل يصيح منغيطاً : انه هراء الصنف يا سيدي .. فما سمعت قط بشيء كهذا .

وراح يذرع الكنيسة ذهاباً وجيئة في انفعال ، وما لبث ان وقف أمام كولت فجأة وهو يقول في صوت متهدج : وبعد ؟ هب ان ذلك صحيح فلماذا تشيرون هذه الفضيحة حول كنيستنا ؟ وهل يتحمل القطيع كله تبعه أخطاء راعيه ؟

- انني اقدر شعورك يا مستر شادويك .. ولكنني اؤدي واجبي .. والآن هل لكما ان تنتظراني في المكتب قليلاً ؟

وما ان خرجا حتى غمغم كولت : ان هذا الشبح لم يكن سوى ايعلين سوندرز يا توني ، وقد رؤيت خلف مقعد القس ، فلا بد ان يكون صندوق المخطبات في ذلك الموضع .

وأشعل مصباحه الكهربائي وراح يبحث في كل مكان بحثاً مضنياً استغرق وقتاً طويلاً، حتى سمعته أخيراً يهتف: تعال يا توني .. لقد وجدت صندوق الخطابات !

وكان الخبأ السري عبارة عن مربع صغير من الخشب خلف صف من الكتب الدينية في فجوة بالجدار وراء مقعد القس . وكانت توى فيه الظلام بقعة بيضاء مربعة ، من الواضح انها كانت خطاباً لم يصل بعد الى يد صاحبه ، فأخرج كولت قلماً من جيبه واستعملها كملقط أخرج به الخطاب حتى لا يمس بصمات الاصابع الكثيرة المنتشرة على الكتب وعلى الخطاب نفسه .

وكان الغلاف بخط منسز سوندرز ، وممنوناً الى : « المحترم تيموني بيزلي » فاقرب كولت من النافذة وراح يفحصه ملياً ، وأخيراً قال : لقد فتح هذا الخطاب ولصق ثانية يا توني .

ولم يلبث ان مزق الغلاف من أحد جوانبه ، فاذا بنا نقرأ آخر ما سطرته المرأة المسكينة :

« .. نعم يا عزيزي ، سوف أحضر في الساعة الثامنة كما طلبت الي وكما أجبته في التليفون .. ولكنني أكتب اليك لأسألك لآخر مرة : السنا في صدد ارتكاب حماقة عظمى بهذا القرار ، مع علمك بأن هناك من يتبعنا ويقتفي أثرنا ؟ انني أكاد اجن فرجاً لهذا الذي قررته أنت أخيراً ، ومع ذلك فاني ارتعد فرقاً ، لا من اجلي ، ولكن من اجلك انت ، لأنه إذا اكتشف اعداؤنا عشنا الصغير الجميل فقد ضغننا وضاع معنا حلمنا الذي أعدناه بالفرار معا .. وعندما وعدتني اللقاء في منزلنا بدلاً من المحطة خفق قلبي فرحاً وفزعاً في آن واحد .. ولست أدري سبباً لهذا الانقباض الذي اعتراني بفتة ، ولا لموجة التشاؤم التي اكتسحتني ، واعلم مدى بغضهم لي

وحنقهم علي ، حق لقد خشيت ان يكون خطابك الأخير غير صادر منك بل هو شرك ينصبونه لي وهذا هو السبب في اتصالي بك تليفونيا .

وكان الخطاب يفيض بعد ذلك بعاطفة متدفقة تم عن مدى الحب الذي تكنه المرأة للقسيس ، واستعدادها للتضحية بنفسها في سبيله .

وأخيراً طواه كولات ووضعها في جيبه ، ثم قال :

— هل لك أن تدعو ويليامز ليلتقط هذه البصمات يا توني ؟ انني أشعر بأنها ذات اثر حاسم في القضية .

ثم عاد ينقب في انحاء القاعة على غير هدى — كما خيل لي — بينما كان الواقع ان فكرة مميّنة غير محدودة كانت قد نشأت لديه وقتئذ كما علمت فيما بعد .. ولم يكتف ببحثه في الكنيسة وانما مضى الى حجرة الدروس الى أسفلها حتى وجد أخيراً ما كان يبحث عنه ، وهو زجاجة صغيرة من الصمغ ، وضعها في جيبه في حرص وهو يتشهد ارتياحاً .

فلما عدنا الى الكنيسة كان خبير البصمات يجمع أدواته ، فقال لكلات انه وجد سبع بصمات مختلفة سوف يقارنها بالمجموعة التي التقطها منذ بدء التحقيق ويقدم تقريره عنها بأسرع ما يستطيع .

وبينما كان ويليامز يجتاز الباب ارتطم بالضابط الطيار هولاندر ، الذي كان يتأبط لفافة متوسطة الحجم ويمسك في يده بفلام لا يعدو الرابعة عشر من العمر .

واسرع كولات يفيض اللفافة بيد ثابتة ، وأخيراً أخرج منها قطعة من الثياب بنية اللون ذات ياقة وإكام من الفراء عرفت فيها للتو ذلك المعطف الذي كانت ترتديه مسز بيزلي عندما التقطت لها صورة الرحلة منذ خمس سنوات .

وكان الجزء الأسفل كله ملوثاً ببقع حمراء داكنة لا شك في نوعها ، كان المعطف مسز بيزلي ملوثاً بالدماء .

وفي عناية وبطء شديدين راح كولت يطوي المعطف ثانية ، ويضعه في صندوقه دون أن تختلج في وجهه جراحه ، حتى إذا ما فرغ من ذلك تحول نحو الغلام ، وكان يقف ممسكاً بقلنسوته بين يديه ، فسأله عن اسمه ، فأجابه والدموع تترقرق في عينيه انه جيرالد كرتنود الصغير ، وأنه في الخامسة عشرة من عمره ، ولكنه نفى معرفته لصاحبة المعطف ، بل أبى أن يضيف حرفاً بعد ذلك إلا في حضور أبيه .

فابتسم كولت وهو يعجب لعناد هذه الأسرة وصلابة عزمها ، وقال :

— حسناً يا جيرالد ، لن أسألك عن شيء ، فعد الى المنزل وقص هذه الممثلة الصغيرة على صديقتك العجوز الكولونيل باول ، ولا تنس ان تخبره انني قد فحصت المعطف جيداً وأنه بين يدي الآن .

فلما خرج الغلام ، أعطى كولت اللقافة إلى لنجل وكلفه بأن يذهب الى محل (لورد وتيور) يحمل المعطف علامته ، ويرجع إلى دفاترهم القديمة حتى إذا ثبت منها أنه يخص مسز بيزلي أخذه الى المعمل الكيماوي لتحليل البقع ومعرفة كنهها ، ولو أنه مأمّن أحد منها كان يرتاب في انها دماء بشرية ..

وما كان لنجل ينصرف بحمله الثمين ، حتى بدأ الكولونيل باول على الباب الموصل الى المنزل وهو يهدير كالبعير : كولت ! هل أصابك مس من الجنون ؟ لماذا بالله تصب جام انتقامك على أناس لا حول لهم ولا قوة ؟ سوف تعلم نيويورك بأسرها غداً ان رئيس البوليس يستعمل وسائل وحشية غلمان المدارس ليحملهم على الكلام .

— خير لك ان تعترف يا عزيزي بول انك تدافع عن قضية خاسرة .

فاستعاد المحامي هدوءه ورزائته ، وقال في صوت يفيض حزناً :

— انك يا صديقي تتبع أثراً خاطئاً ، وتحاول أن تلتصق التهمة بأرملة
تعمسة ، لقد وجدت معطفاً ، فمن أين لك أنه يخص مسز بيزلي ؟ ومن
قال ان هذه البقع من الدماء ؟ أليس من التعسف ان تتهم هذه المرأة
لمجرد ان معطفاً أرسل للتنظيف خارج نيويورك ؟ يجب ان يكون للمرء
عقلية رجل البوليس ليفهم ذلك !

فأجابته كولات وهو يبتسم :

— عندما يجد رجل البوليس معطفاً ملوثاً بالدماء ، يخص زوجة الرجل
الذي قتل البارحة ، ويحملة ابن شقيق تلك الزوجة خفية إلى مدينة أخرى
لتنظيفه فهل ينبغي ان يكتف ذراعيه وينسب ذلك الى محض المصادفة ؟

— كان يحذر بك قبل ان تستنتج شيئاً معيناً ، ان تطلب تفسيراً .

يسرني أن اسمع هذا التفسير من قم مسز بيزلي نفسها .

— سوف تحصل عليه منها بعد شفائها من وعكتها .. ولكن ثقي ان
مسز بيزلي المسكينة بريئة من كل ما يتصل بهذه الجريمة .. بل ان اسرة
القتيل لا تقل عني أو عنكم رغبة في اجلاء غوامض هذا السر المروع ، ونحن
جميعاً على استعداد للتعاون معكم .

— لماذا عارضت في تفتيش المنزل اذن ؟

— انني لن اعترض على ذلك بعد الآن ، وقد أتيت خصيصاً لأعرض
عليك ان تؤدي واجبك ولكن لن تستطيع استجواب مسز بيزلي أو

مستر بادنجتون كرتنوود اليوم لأنها مريضان طريحا الفراش .

ولكن الرئيس هز كتفيه ساخراً وهو يقول :

— لست أرى ما يدعو للمعجزة الآن .. وعندما أجد الوقت ملائماً لأجبره التفتيش فسوف انبثك .

فلما انصرف المحامي لم اكنم كولات دهشتي من مسلكه فقال :

— ما دام هذا الشعب المعجوز هو الذي يعرض ذلك ، فثق انه لم يبق بالمنزل ما يستحق عناء البحث .. كما انني الآن اكثر اهتماماً بمنزلة آخرين ، هما مسكن سوندرز ، ورقم ١٣ سانجستر تراس .. فهناك ثغرات لا بد من ملئها قبل ان نقرر أمراً حاسماً .

وأسرع كولات خارجاً ، وهو يستحثني ، حتى إذا ما اسرعت بنا السيارة ، تنهد قائلاً :

— ان ارتكاب الجريمة بين جدران ذلك المنزل اللعين تجعل من غير المحتمل ان نعثر على شاهد عيان لها .. ولكن لو أن احداً رأى فرداً من آل كرتنوود يدخل المنزل أو يخرج منه ، لسكان لنا شأن آخر في الأمر .

فلما وقفت السيارة أمام مسكن ويلى سوندرز ، وجدنا أحد المفتشين هتف وقد فرغ لتوه من تفتيشه فقدم للرئيس مفتاحاً صغيراً وجدده في أحد الادراج ، قائلاً :

— انه لم يجد شيئاً سواء قد يفيد التحقيق ، خصوصاً أنه لا يفتح أيضاً من أبواب المسكن ففحصه الرئيس ملياً ، ثم دعا سائق السيارة فأعطاه المفتاح وأصدر اليه أوامره في صوت خافت لم يسمعه أحد منا .

وكانت ايزابيل في البيت بمفردها ، مع خالة لها .. أما ويلى سوندرز فقد جاء اثناء وجودنا وهو يترنح ثلاً ، فما كاد يرانا حتى صاح :

- ألم يتقدم التحقيق بعد ؟ وكيف بالله لم تقبضوا على مس بيزابي حتى الآن ؟

- ما الذي يهدفك الى هذا القول يا سوندرز ؟

- لا ريب ان شخصاً ما قد ارتكب هذه الجريمة ، شخصاً يفت عزيمتي أيفلين .. وليس هناك من يفتها اكثر من مسز بيزابي كما اعترفت هي نفسها .

- لمن قالت ذلك ؟

- انها بيسي ستروبر التي سمعت منها هذا الاعتراف .. وقد تذكرت هذا الأمر في صباح اليوم ، فان بيسي قابلتني في الطريق ذات صباح ، منذ نحو عام ، فوقفت لتقول لي ان مسز بيزابي غاضبة من خروج ايفلين مع المحترم بيزابي ، كثرة لقاءها ، وقد نعتت ايفلين بأقبح الصفات ، وقالت انها لن تهدأ أو يقر لها قرار حتى ترى ايفلين راقدة في قبرها .. ولما كانت زوجتي قد لبثت مدة طويلة سكرتيرة للقس فلم أر في الأمر شيئاً يس شرفها أو ميمتها ، وأغضيت عن هذه الترهات .

فنظر الى كولت نظرة ذات مغزى ، إذ ان بيسي ستروبر لم تذكر لنا شيئاً من ذلك عند استجوابها في الصباح ، بل لقد أكدت انها لا تعتقد في صحة الاشاعات عن العلاقة بين القس وسكرتيه السابقة .. واخيراً قال كولت للرجل :

- سوف نتكلم في هذا الأمر فيما بعد يا سوندرز ..

ودعا الرئيس ايزابيل ، فسأها :

- ألم تسمي والدتك قط تشكو من ضياع أحد مفاتيحها يا ايزابيل ؟

- بلى .. ولكن كيف عرفت ذلك ؟

- متى كان هذا الأمر ؟

- منذ شهرين تقريبا .

وفي تلك اللحظة عاد سائق السيارة ، فحيا الرئيس وقال :

- انه مفتاح ذلك الباب يا سيدي .

فأخذ كولت المفتاح ووضع في جيبه دون ان يقول شيئا ، ولكنه عندما رأى حيرتي قال وهو يبتسم : ألم تحدث الحقيقة بعد ؟ ومع ذلك فانه أمر لا أهمية له أكثر من تأييد ظنوني فيما يختص بشبح الكنيسة ، فهو مفتاح بابها الخارجي الذي كانت تستعمله ايفلين سوندرز في المساء لأخذ خطاباتها الغرامية أو وضعها .. أما الآن فهيا بنا الى ساجستر تراس .. ولكن دعنا نحضر دوجرتي أولا .

وكان الأصل قد أرخى على الكون اهدابه الوردية ، عندما هبط الرئيس من السيارة يتبعه دوجرتي ثم أنا .. وكانت تنتظرا هناك انباء سارة ، إذ ان الأمر الذي اصدده كولت منذ الليلة الماضية بالبحث في قاع النهر قد اثمر ، فقد وجد فيه الغواصون صندوقا مليئا بآلات النجارة جميعا ، ومسدسا ، ولفافة عظيمة من قماش سميك داكن .. فسأل كولت المفتش فيجلي ان كان قد فحص المسدس ، فقال : أنه من طراز سميت عيار اثنين وعشرين ، ولا تزال به اربع رصاصات .

فأمر كولت بارسال المسدس إلى المركز الرئيسي لفحصه والتحقق من أن نمرة مقيدة بالسجلات ، ثم من مطابقتها للرصاصتين اللتين استخرجتا من جثتي القتيلين .

وأشار كولات إلى اللفافة الكبيرة بمد ذلك فقال فيجلي :
- انني لم افحصها ، ولكنها قطعة من القماش المشمع السميك كبيرة الحجم ..

- هل تكفي لتغطية أرض حجرة فسيحة ؟

- نعم يا سيدي الرئيس ..

فأمر كولات باحضارها إلى داخل المنزل ، حيث تولى الرجال وضعها في حجرة الاستقبال المطلة على النهر بالطابق الأول ، فاذا بها تطابقها كل المطابقة .. وعندئذ غمغم كولات :

- الآن عرفت كيف لم نعثر على آثار دماء لأول وهلة .. ولولا ان الماء قد محى آثار الدماء وبصمات الاصابع عن هذا المشمع وعن صندوق آلات النجارة ، لكان لهذه الآثار اهميتها .. ومع ذلك فلنحاول فحصها .

وسرعان ما أرسلت هذه الأشياء أيضاً الى المركز الرئيسي .. وفي الوقت نفسه دوى جرس التليفون فتناول كولات ، وعندئذ سمعنا الغازا ومميمات في اجاباته :

- هاللو ! نعم .. المفتش لنجل ؟ لقد أحسنت يا صديقي ؟ من الذي انبأك بهذا ؟ مندوب شركة التأمين ؟ نورفولك ؟ يجب التحقق من ذلك للفور .. اتصل ببوليس نورفولك تليفونيا واطلب الى رئيسه عن لساني ان يذهب لاستجواب الطبيب والمرضة .. كذلك قل لهولاندر ان يأخذ طائرته ويسرع إلى نورفولك لاستكمال التحقيق .. وأمره بأن يتصل بي تليفونيا في أية ساعة ، إذا اهتدى إلى شيء جديد هناك ..

ولم يطق دوجرتي صبرا ، فسأل الرئيس عما هنالك ، فأجابه :

- انني اتبع أثرأ جديداً يا عزيزي .. وقد لا يؤدي إلى أية نتيجة ،
ولكنني اقسمت ألا أأمل شيئاً في هذه القضية .

وفي قلبك اللحظة دخل أحد المفتشين مهرولاً وهو يقول :

- لقد وجدت شاهد عيان لاهرع بيزلي سوندرز يا سيدي الرئيس !

احتاج كولات الى دقيقتين كاملتين ليدرك ان المفتش كان مغالياً في امية النبأ الذي أتى به ، فانه لم يجد شاهد عيان للجريمة نفسها وانما وجد امرأة لشهادتها قيمة بالغة الخطورة حتى ان دوجرتي لم يتمالك زمام أعصابه ، وهم ان يصدر أمراً بالقبض على من جاء ذكرهم في تلك الشهادة .

وكانت هذه المرأة هي صاحبة مشرب الشاي .. فقد ظل المفتش طول اليوم يعتصرها حتى أضافت إلى اقوالها السابقة اشياء جديدة .. وسرعان ما أمر كولات باحضارها ليسمع شهادتها بنفسه ، فاذا بالمرأة فارعة الطول ضخمة الجسم لعلها من نسل العمالة انفسهم ، تجيب على اسئلة كولات في صراحة ووضوح دون مداورة أو محاولة .

وتتلخص هذه الشهادة في ان بيزلي وايفلين سوندرز كانا يترددان على حانوتها كثيراً خلال بضعة الاعوام الماضية ، وكانت تسمعها يتبادلان عبارات الحب والهيام ، بل لقد سمعت القس ذات مرة يعد ايفلين بأنه سوف يجعل منها سيدة عظيمة ليس لها إلا أن تأمر فتطاع .. كما سمعته يعرب لها عن أحزانه ، بعد ان اكتشفت أسرقه سر علاقتهما حتى لقد خيره جيرالد كرتنووذ بين منصبه وبين ايفلين ..

أما ما رآته ايلة الأمس فكان مشهداً عجبياً .. وصفته بقولها :

- انني استطيع من نافذة حجرتي أن أرى حديقة سانجستر تراس ..

وكان الأمس يوماً شديداً القىظ فاعلقت المشرب مبكراً ، حوالى الساعة الحادية عشرة ، وجلست يحوار تلك النافذة استقبل نسيم النهر لعله يلطف حرارة الجو قليلاً .. وفي تلك اللحظة رأيت جماعة من الاشخاص مجتمعين في فناء المنزل رقم ١٣ ، فأدهشني ذلك لعلني ان مستأجري هذه المنازل قد سافروا إلى مصايفهم ، وكان المجتمعون لا يشيرون ضجة بل لقد خيل الي انهم يتحدثون همساً ويروحون ويعدون في خطوات خفيفة ، وفجأة ابتعد أحدهم ودنا من مصباح قوي الضوء اعتاد الحارس ان يضعه كل ليلة ، وعندئذ سقط الضوء كله على وجه تلك المرأة ، ورأيت ملاحظها جيداً كأننا في رابعة النهار ، ولم أعرفها وقتئذ ، إذ كانت غريبة عني لم أرها من قبل ، ولكنني منذ ان قرأت الصحف ورأيت الصور التي نشرتها عرفت هذه المرأة جيداً .

- هل انت واثقة بما تقولين ؟

- كل الثقة ، فقد كانت المرأة زوجة القس نفسها ، مسز تيموثي بيزلي !.

فقال دوجرتي متجهماً : هل تقدرين خطوة شهادتك هذه يا سيدتي ؟ انه اتهام صريح ..

- اتهام مسز بيزلي بقتل زوجها وايفلين سوندرز ؟ معاذ الله ! انني أجهل من الذي ارتكب هذه الجريمة يا مستر دوجرتي ، ولكنني فقط رأيت مسز بيزلي في حديقة المنزل ليلة الامس .

فسألها كولت : اتذكرين ما الذي كانت تريده ؟

- نعم .. كانت ترقدي معطفاً طويلاً داكن اللون ويخيل الي ان على ياقته وأكمامه شيئاً يشبه الفراء .

فتبادلنا النظرات معا إذ لم تكن الصحف قد ذكرت شيئاً بمسز عن

المعطف الملوث بالدماء ، مما يدل على صدق المرأة ، إذ ان مثل هذه الأمور الدقيقة لا يمكن اختلاقها .

وطلب كولت إلى المرأة ان تنتظر قليلاً في الحديقة ، ثم طلب اليها ان ترافقه إلى شاطئ النهر حيث جلسنا على مقعد حجري كبير ، فبدأ دوجرتي يقول وهو يفرك كفيه ابتهاجاً :

— نخيل إلي ان القضية قد بلغت نهايتها !

— لعلك تعني ازدادات غموضاً ؟

— كيف ذلك؟ لم يبق في رأيي إلا أن نواجه مسز بيزلي بهذه الشهادة . وبعدها سوف أعرف كيف انتزع الحقيقة من آل كرتنوود المختالين المتكبرين .

— اخطأت يا عزيزي . فان الكولونيل باول لن يعدم وسيلة لتجريح شهادة هذه المرأة ، وفضلاً عن ذلك فانها تتعارض مع بعض الحقائق التي نعرفها ، فقد رأت الشهادة مسز بيزلي في الساعة الحادية عشرة على حين ان طلاقات الرصاص كانت في التاسعة إلا ربعاً ، ثم هل لك ان تذكر لي شيئاً من بواعث الجريمة ، أو تصور لي كيف وقعت كما تبدو لك ؟

— انك تعلم أنه لا تزال تنقصنا بعض العناصر ، ولكني اعتقد ان ما في يدها الآن يكفي للحصول على اعتراف من آل كرتنوود .

— ان ما بيدها لا يفيد شيئاً ، ثم ما هو تماماً ؟ المعطف أقوال هذه المرأة التي تدبر مكاها مشبوها ؟ كلا يا دوجرتي ، افك لا تستطيع بهذه الأشياء أن تقهر البزايث كرتنوود وأخاها وانما تلزما أدلة حاسمة .

— نخيل إلي يا قاتشر اننا نملك هذه الأدلة ، فدعني أخلص لك الوقائع

التي عرفناها ، فبيزلي له عشيقة ، وتعلم أسرتة بالأمر فتمعده اجتماعاً تحظر عليه فيه رؤية هذه المرأة ، فيتظاهرها بالخضوع ولكنه يستمر على علاقته بعشيقته ويدبران أمر فرارهما معاً ، فيتصل القس بوكالات السفر ، ويستخرج الجوازات اللازمة .

— مهلا ، اننا لم نجد إلا جوازاً واحداً باسم بيزلي فقط .

— هذا حق ولكن ربما كانت المرأة تريد الرحيل تحت اسم مستعار ، فلما اكتشفت الأسرة هذا الأمر ، بواسطة الخبيرين الخصوصيين ، تأهبت لمنع قسراً ، وفي الليلة المعهودة يلتقي العاشقان هنا ، ليذهبا الى المحطة . وتعلم مسر بيزلي ، فتخشى الفضيحة التي توشك ان تحل بها وبالأبرشية كلها فتسرع مع أخيها بدنجتون ويقوم بينهما وبين زوجها نزاع شديد فتدعو أخاها جيرالد تليفونيا ، حيث يخف اليها ويتشاجر مع بيزلي فيخرج مسدسه ويطلق رصاصتين فيقضي على العاشقين معاً ، وعندئذ يدرك آل كرتنود مغبة ما وقع ويحدون قارباً فيضمون الجثتين فيه ..

— كفى ، إلى هنا وكفى يا عزيزتي دوجرتي ، فان قصتك قد تكون معقولة إلى هذا الحد ، ولكنك بدأت تتخبط في استنتاجاتك عندما أشرت إلى القارب فأرجو ان تفكر أولاً في هذه النقطة ، من هو الرجل القصير الخجول الذي ابتاع الخشب وأرسل البرقية إلى كراوس ؟ ولماذا القيت أدوات النجارة في النهر ، ومن الذي مد بساط المشمع في حجرة الاستقبال ليلتقي دماء الضحيتين ؟ ولماذا ذبحت ايفلين سودنرز بعد موتها ، حق كاد رأسها يفصل عن عنقها ؟ ومن الذي كان مختفياً في الحجرة الصغيرة المجاورة ؟

وأخذ كولت إلى الصمت لحظة كان فيها دوجرتي يحفف عرقه وقد بدا عليه الخجل من تسرعه . على حين استطرد كولت :

— انني اتفق معك في الرأي بأن آل كرتنوود يعرفون عن هذه الجريمة أكثر مما يظهرون ولذلك ينبغي الا نهاجمهم إلا إذا كانت في أيدينا أدلة حاسمة ، أما الآن فالقضية مزيج من المتناقضات ، وكلما فحصها المرء ازدادت دائرة شكوكه ، وفي رأيي ان الجريمة قد دبرت وأعدت معداتها قبل وقوعها بمدة طويلة ، ولذلك سألت ايزابيل ان كانت أمها فقدت أحد المفاتيح ، فقد كنت أعلم ان مفتاحها قد سرق من ايفلين أو من بيزلي أو من شخص آخر ، اما من الذي سرقه ، وكيف ؟ فهذا مما أجهله ، وإذا شئت فهنالك شبهات تنمض ضد كل من اتصل بهذه القضية ، فان سوندرز — مثلاً — اخصائي في صنع القوارب ، وعلى علم بعلاقة زوجته بالقس ، كما ان شادويك يحب مسز بيزلي ، فلماذا لا يسمى الى الزواج من الارملة الثرية ؟ ليس ذلك فقط فانني إذا أردت فتحت لك افاقاً غريبة ، فهناك أيضاً بيسي ستروبر ، ومن المحتمل ان الغيرة كانت تنمض قلبها نحو ايفلين سوندرز .

فقاطعه دوجرتي : او ! انها فتاة عجوز — دمية .

— نعم انها الآن كما تقول ، ولكنها لم تكن كذلك منذ خمسة اعوام ، فقد رأيت صورة لها لا تزال معلقة في مكتب القس ، تمثلها جميلة ساحرة مرحة ، وذات اناقة تحرك القلوب ، وقد تفقد المرأة سحرها خلال خمسة اعوام يا دوجرتي ، ولكنها لا تزهد في الدنيا الى هذا الحد ، فتدع كل زينة ، وتهجر كل اسباب الاناقة النسائية ، وعلى الرغم من انها تربح الآن مرقباً كبيراً ، إلا أنها ترتدي ثياباً رثة قديمة ، فما الذي بدلها كل هذا التبديل ؟ ولماذا لا نقول انها كانت خلية القس بدورها ، وان ارتكبت الجريمة بدافع الغيرة ، ولو أن أية امرأة لا يمكن ان تجرد من رباطة الجأش ما يسمح لها بتنفيذ مثل هذه الجريمة الوحشية ؟

فغمغم دوجرتي :

- انك على حق يا عزيزتي ، ولا تزال القضية غامضة كل الغموض ،
فما الذي تراه الآن ؟

- اود اولا ان اعرف نتائج بعض المهام التي بعثت رجالي من اجلها ،
كما يهمني ان اعرف من الذي انبأ شادويك بالعلاقة الغرامية بين القس
وايفلين ، كذلك اود ان اعلم من خبير البصمات من هو الجاسوس الذي كان
يفتح خطابات العاشقين ويقرأها .

- وماذا تريدني على ان افعل خلال ذلك ؟

- ان رأيك في مواجهة مسز بيزلي بالشهادة رأي عظيم ، فانهقسم
العمل بيننا يا دوجرتي ، تتولى انت آل كرتنوود ، واقوم انا بما تبقى .

وبينما كان الصديقان يتصافحان قدم المفتش لنجل مسرعاً فقال : لقد
وجدت غمرة المسدسات بالسجلات يا سيدي الرئيس ، وامكنننا ان
نعرف صاحب المسدس الذي ارتكبت به الجريمة ، فهو ملك جيرالد
كرتنوود .

فصاح دوجرتي ، وقد هذه ذلك النبأ الذي يؤيد نظريته على طول
الخط ، بينما استطرد لنجل قائلاً :

- كما اننا وجدنا هذا في قاعة الاستقبال في الصباح ، ونسيت ان
اقدمه اليك .

ووضع المفتش شيئاً في يد كولات ، راح هذا يتأمله برهة ، ثم تشممه ،
واضاء مصباحه الكهربائي ، فاستطعت ان ارى في يده قفازاً من الجلد
اسرع بوضعه في جيبه .

وبعد ان انصرف دوجرتي والشاهدة تحول كولات نحو لنجل
فسأله :

- هل عرفت صاحب القفاز ؟

- نعم ، فقد رآه الكولونيل باول بعد ظهر اليوم ، وهو الذي ارشدني
إلى الحرفين الاولين من اسم صاحبه ، منقوشين في داخله .. وهما ..
ت . ب ..

وكان صوت كولات يفيض بالانفعال والسرور عندما تحول نحوني قائلاً :

- ان هذا القفاز يقدم لي الدليل الذي كان ينقصني يا توني . ذلك
الذي كنت ابحت عنه عبثاً من بادىء الأمر .. وهأنذا قد بدأت ارى
كل شيء في وضوح .. ولكن الوقت متأخر الآن فها بنا الى منزلي .

وما ان خلوت مع كولات في قاعة المكتبة حتى اشعل غليونيه وقال :

- سوف تنام الليلة في حجرة الاضياف يا توني ، لأننا سنستأنف العمل
في الصباح المبكر ، ولو انني اخشى الا استطيع النوم الليلة لكثرة ما
يختلط في رأسي من الافكار .. ففي هذه القضية المشؤومة تهدم كل نظرية
النظرية الأخرى ، بينما هذه النظريات جميعاً تتعارض مع الحقائق المعروفة ..
وصدقني يا توني ان تصوير دوجرتي للجريمة ، رغم ضعفه ، قد أثر فيّ بما
يبدو فيه من شبه بالحقيقة ، وانه لشيء مروع ان يضطر المرء الى الارتياح
في امرأة بأنها ارتكبت مثل هذه الجريمة المتسمة بطابع الجرأة والوحشية ..
وسوف نقض مضجع اليزابث بيزلي ومعطفها الملوث بالدماء ، على الرغم
من ان صوتاً عميقاً يهتف بي من قرارة نفسي بأنها بريئة كل البراءة .

ولم أكد افتح فهي لأعلق على هذا القول حق قرع جرس التليفون
فأسرعت أتناوله ثم قلت وانا لا اخفي دهمشي : انه بوليس نورفولك
يا سيدي . .

واصغى كولت برهة ، وعلى عيانه دلائل الاهتمام ، ثم صاح بغتة :

— ماذا ؟ سم ؟ هل انت واثق من ؟ متى ؟ يناير ١٩٢٧ ؟ هل لك
يا عزيزي ان تبعث لي بملف هذا الموضوع مع السكايتن هولاندر : قل له
انني انتظره في مكنتي في الصباح .. شكراً لك .

فنظرت الى كولت نظرة تساؤل ، وقد فهمت من تهديج صوته ان هذا
الحديث التليفوني ذو أثر حاسم في القضية .. ولكنني وقد نهشني الفضول
بأنيا به الحادة ، رايت كولت يمد لي يده وهو يقول مبتسماً : طابت ليلتك
يا توني ؟

* * *

كنت في المكتب بجوار الرئيس منذ الساعة التاسعة صباحاً ، فإذا
بمستر شادويك يأتي بناء على طلب الرئيس ، فقال له كولت : انني لن
اسألك إلا سؤالاً واحداً يا مستر شادويك .. فمن الذي اطلعك على سر
المحترم بيزلي ومسر سوندرز ؟

فأخرج الرجل من جيبه خطاباً قدمه الى الرئيس في صمت .. فقرأه
بصوت عال وإذا به : « مستر شادويك .. ان المحترم بيزلي على علاقة
اثيمة بايفلين سوندرز .. وإذا شاعت هذه الفضيحة فسوف تلبس طائفتنا
عاراً لا يحى .. ومن حقلك ان تتحقق من هذا الأمر .. فأسرع لأن
أي تأخير من جانبك سوف يؤدي الى عواقب وخيمة قد تذهب إلى حد
القتل ..

— أحد أفراد الطائفة .

— هل وصلت لك هذا الخطاب بالبريد ؟

— نعم .. في شهر ابريل .

— شكراً لك يا مستر شادويك .. طاب يومك .

قلما انصرف الرجل وضع كولى الخطاب مع القفاز الذى وجد بالأمس في درج مكتبه ، ثم طلب إلى أحد الجنود ان يدعو مسز بازيل هوارتون .

وجاءت السيدة المعجوز تتوكأ على عصا ، فاستقبلها كولى واقفاً ، حتى إذا ما جلست بدت تدلى بشهادتها لتعمل للينا مفاجأة جديدة .. فقد ذكرت انها لم تعد تملك المنزل رقم ١٣ بسانجستر قراس ، إذ انها باعته ، وكانت قد ورثت هذا المنزل من ابيها ولكنها لم تقطنه إلا بعد وفاة بعلمها ، بيد انها كانت كثيرة الرحلات والأسفار ، ففضلت ان تقيم في الفندق ، وتؤجره مفروشا ، وسرعان ما وجد وكيلها مستأجراً قدم أجراً مناسباً وخدمات قوية ، ولم يكن ذلك المستأجر سوى مسز ايفلين سوندرز وأما الضامن فهو القس بيزلي ، وفي فبراير الماضي تلقت عرضاً لشراء المنزل بثمن مفر كان من الجنون أن ترفضه خصوصاً ان المشتري عرض ان يشتري الأثاث كله ، وان لا يطالب بالسكنى فيه إلا بعد انتهاء عقد مسز سوندرز ، وقد تم البيع دون أن ترى المشتري ، ودفع اليها الثمن نقداً بواسطة أحد الموثقين في شيكاغو نيابة عن عميله مستر دانييل داريل ، أما الموثق فيدعى بلدن .

وما ان انصرفت مسز هوارتون حتى اتصل كولى برئيس البوليس في شيكاغو وطلب اليه ان يتحرى لدى الموثق بلدن عن اوصاف شخص يدعى

دانييل داريسل ، اشترى المنزل رقم ١٢ بسانجستر تراس في شهر فبراير . .
ووعده كولت زميله بأن يرسل اليه باللاسلكي صور بعض الاشخاص لعرضها
على موظفي مكتب الموثق لعل بينهم ذلك المشتري المجهول .

وسرعان ما استدعى كولت المفتش فيجلي وكلفه بأن يرسل إلى شيكاغو
صور جيرالد وبادنجتون كرتنود ، والكولونيل باول ، واليري شديوك ،
وويلي سوندرز .

وفي هذه الأثناء كان سوندرز وابنه قد حضرا تلبية لطلب كولت ،
فقال هذا للفتاة :

— لقد سألتك بالأمس عما إذا كانت أمك قد شكت من فقد أحد
المفاتيح ، فهل تعتقدين ان أحداً ممن يترددون على منزلكم كان في وسعه
أن يخفي هذا المفتاح ريثما يصنع مثله ؟

ومن الذي تشكين فيه أكثر من الآخرين ؟

— لست أدري يا مستر كولت ، ولكن لم يكن يتردد علينا إلا بعض
صويحبات والدتي ، مثل بيسي ستروبر واياها هيكس وغيرها من الفتيات
المرتلات ، ولكنني لا أستطيع ان اتهم واحدة بعينها .

— إذا أردت ان تلتقي لوالدتك من قاتلها يا ايزابيل ففكري جيداً
فما سأسألك عنه ، ألا يوجد شيء تعرفينه ولم تخبريني به بعد ؟

— بلى يا مستر كولت ، ففي شهر مارس او أبريل تلقت والدتي خطاباً
غفلاً من الامضاء ، لا ريب ان الذي كتبه شخص مجنون ، إذ كان ينصح
والدتي بالحد من التعقل لأن هناك من يحاول ان يدس لها السم .

فانتفضت ، ونظرت الى الفتاة ذاهلاً مشدوها . . فهذه هي المرة الثانية
التي اسمع فيها كلمة (السم) . . سمعتها من كولت وهو يحدث زميله في

نورفولك ليلة أمس وهانذا اسمها الآن من الفتاة .. ففي أي طريق يسير
التحقيق الآن ؟

وسألها كولت : واين هذا الخطاب ؟

- لقد أحرقته والدتي في الحال ، ففتح درج مكتبه وأخرج الخطاب
الذي أخذه من شادويك وعرضه على الفتاة فقررت ان الخطاب الذي تعنيه
كان محرراً بالخط نفسه ..

وعند هذا الحد دخل ويليامز ، خبير البصمات ليقدّم تقريره للرئيس ،
فأسرع هذا يصرف سوندرز وابنته .

ونشر ويليامز رسومه وصوره فوق منضدة كبيرة ، ثم بدأ يوضحها ،
فقال :

- لدينا أولاً ثلاث مجموعات التقطت من فوق الكتب القديمة في الكنيسة ،
أحدها لبيزلي والثانية لمسز سوندرز أما الثالثة فلفتاة التي تدعى بيسي
ستروبر .. وقد وجدت ايضاً بصماتها فوق وعاء الصمغ الذي أرسلته الي ..
فنظر الى كولت قائلاً : لقد عرفنا الآن ان بيسي ستروبر هي التي
كانت تتجسس على العاشقين وتفتش خطاباتها فتقرؤها وتعيد لصقها ..
فلماذا ؟ ..

ثم تحول الى ويليامز يسأله :

- هل وجدت بصمات على صندوق أدوات النجارة والأثاث الحديدية ؟
- وجدنا الكثير منها عليهما .. وهي كلها بصمات المحترم بيزلي .

فهمت كولت يسأل في لهفة : والبصمات التي كانت مطبوعة على التراب
في الحجرة الصغيرة المجاورة للحجرة الجريمة ؟ هل عرفت صاحبها ؟

وفي اللحظة نفسها قرع جرس التليفون ، فاضطرت للابتعاد على مضض
تاركا كولت وويليامز يتأملان صور البصمات في اهتمام بالغ .. وكان رئيس
بوليس شيكاغو يطلب التحدث الى رئيسي ، فأخذ يصمني لحظة ، ثم شكر
زميله وأعاد الساعة إلى مكانها.. ولا ريب أنه اشفق علي من نيران الفضول ،
فقال : لقد استطاع زميلي ان يحلو نقطة هامة يا توني ، حتى قبل ان تصله
الصور باللاسلكي .. فقد عرف موظفو مكتب بلدن مشترى منزل
سانجستر تراس من الصور التي نشرتها الصحف ، ولم يكن سوى القس المحترم
ثيموني بيزلي !

وفيا كان كولات منهمكا في فحص صور البصمات مع ويليامز ، وقد بدأ واجما شارد الذهن ، أخطر بأن المفتش لنجمل والسكايتن هولاندر يطلبان مقابلته ، فأسرع باستدعائها حتى إذا ما جاء وكان التعب باديا في أسارير الطيار الذي راح يقول :

- لقد جئت لتوي من نورفولك يا سيدي الرئيس ، وانصرفنا في الحال الى العمل هنا ، المفتش لنجمل وأنا ، فوجدنا ما كنا نبحث عنه ، ليس ذلك فقط ، وانما احضرناه معنا ، وقد نفذنا أوامرك بجذافيها ، إلا أننا احضرنا شخصين بدلا من واحد ، إذ أصرت المديرية على مصاحبتنا .

وكانت هذه الاقوال بالنسبة لي أشبه بالأحاجي والمعميات ، وسمعت كولات يسأل الضابط :

- أين هي الآن ؟

- في السيارة أمام الباب .

فنظر الرئيس في ساعته ثم قال :

- الساعة الآن الثالثة بعد الظهر ، فخذهما الى نزهة حتى الساعة السابعة ثم قدما الى المنزل رقم ١٣ بسانجستر تراس ، ودعهما يصعدان الى الطابق العلوي مباشرة حيث تضعهما في الحجرة الصغيرة المطلة على النهر ، وتظل

تحرس الباب بنفسك حتى يبلغك مستر أبوت تعليماتي ، وقد دعوت بقية الاشخاص للاجتماع في الساعة الثامنة ، وعليك يا لنجل ان تجلسهم في الطابق الأسفل بالحجرة الكبرى .

فلما انفردت برئيسي بعد لحظة لم يتسع لي الوقت لسؤاله عن هذه الالغاز ، إذ هرع إلى التليفون فاتصل بمستر دوجرتي وطلب اليه يحضر آل كرتنود جميعاً والسكايتن بول إلى سانجستر تراس في الساعة الثامنة مساء . وما كاد يفرغ من هذا الحديث حتى التفت نحو قائلاً :

- سوف آخذ على عاتقي استدعاء ويلي سوندرز وابنته وباقي من يخصهم الأمر ، أما أنت يا عزيزي توني فاني انصح لك بأن تنظم مذكراتك وتكتبها على الآلة السكاتبية ، إذ لم تبق إلا أربع ساعات قبل ان يرفع الستار الأخير .

وظل كولت معي طيلة هذه المدة حتى إذا ما انتهى من قراءة ما كتبت ، قال :

- لا يوجد إلا حل وحيد لهذه القضية الشنعاء يا توني .. وانها صورة الرحلة هي التي وضعتني على الأثر الصحيح .. ولكنني كنت اتخبط في الظلام حتى رأيت ذلك القفاز في مساء أمس ، وعندئذ بزغت الحقيقة أمام عيني سافرة ناطقة ، اتسألني لماذا ؟ لأن قفاز اليد اليمنى كانت به رائحة البارود ، وأمامنا مهمة قاسية الآن يا توني ، ولكنني لا أرى وسيلة أخرى أمامي ، فها بنا .

ودخلنا منزل الجريمة من باب الخلفي ، فعلم كولت من أحد المخبرين ان جميع الاشخاص الذين أمر باستدعائهم قد حضروا وجلسوا في الطابق الأسفل ، وهم : مسز بيزلي وأخواها ، وويلي سوندرز وابنته ، والكولونيل بول

وبيسي ستروبر وايماء هيكس والسيري شادويك ، وصاحبة مشرب الشاي
وكرانس الحارس الليلي .. أما وكيل النيابة فينتظر بالطابق العلوي ، في
حجرة الجريمة .

وارتقيت الدرج خلف رئيسي وقلبي يحدثني بأن كارثة داهية على وشك
الوقوع ، حتى إذا ما بلغنا قاعة الاستقبال بالطابق الأول كان ميرل
دوجرتي يذرعها ذهاباً وجيئة في قلتي ، فقابلت كولت بهذه الكلمات :
كولت ! اية مؤامرة جديدة تحوكم خيوطها ايها المعجوز ؟

- ألم أقل لك انني في صدد أثر جديد يقلب القضية رأساً على عقب ؟ .
ولكن ماذا صنعت اليوم مع اليزابت بيزلي ؟

- لا شيء ، فقد ضيقت الخناق عليها وعلى أخوتها فلم ينصرفوا عن
أكاذيبهم السابقة ، ولكن هلا جلوت لي السر الآن يا كولت ؟ وهلا قلت
لي لماذا جمعت كل هؤلاء الناس الذين ينتظرون في الطابق الاسفل ؟

- الواقع انني لا أدري بعد ما الذي سنخرج به من هذا الاجتماع ..
غير ان بعض القرائن الصغيرة أوحى لي بنظرية معينة ، أما هل هذه
النظرية صحيحة أم لا فستعرف ذلك معي في نفس الوقت .

فتنهده دوجرتي وقال : ومتى سيرفع الستار الأخير ؟

- الآن ، فيوجد في الطابق الاول ، أحد عشر شاهداً ينتظروننا .

وفي رأيي ان واحداً منهم فقط هو الذي نرجو ان نعرب منه اسم
القاتل ، وهذا الشاهد الرئيسي كان من سوء الحظ اننا أهملنا شأنه من
مبدأ الأمر ولم نعره اهتماماً كافياً .

- من ؟ بادنجتون كرتنود ؟

- كلا ، بل بيسي ستروبر ، وانني أعلق أهمية عظمى على هذه الفتاة التي كانت جميلة انيقة ثم هجرت فجأة كل متاع الحياة والزينة ، فلماذا قصر على العمل مع ان أويها في حالة ميسورة وفي وسعها ان يعولاهما ؟ وابن تذهب نقودها ؟ انني شديد الرجاء في أن نجد في الاجابة على هذه الاسئلة شعاعاً منيراً يضيء لنا الطريق في هذه القضية ، فهل لك يا قوني ان تأمر باحضارها ؟

وكانت السكرتيرة السابقة للمحترم بيزلي ترتعد فرقا وهي تجتاز باب الحجرة التي ارتكبت فيها الجريمة وما لبثت ان تهاوت على المقعد الذي قدمه اليها كولات وهي قلقى حواليسها نظرات ملأى بالذعر والفرع ، وبدأ كولات يقولها لها في اين ودعة :

- لقد خطر لي يا مس ستروبر انك قد تستطيعين مساعدتي في اجلاء غوامض هذه المأساة الشنيعة ، ولذلك سألقي عليك بضعة اسئلة أرجو ان تجيبي عليها بهدوء رغم انها قد تكون ذات طابع شخصي بحت .. فهل تذكرين رحلة ذات يوم جميل من أيام الحريف منذ خمسة أعوام أو ستة ؟

- رحلة خلوية ؟ لقد قمنا بالكثير منها مع اطفال الابرشية ، ولكنني لا أرى علاقة .

- مهلا ، فانني سأذكرك بهذه الرحلة بالذات ، لقد كنت يومئذ ترتدين قبعة من الصوف ثلاثم ووجهك كل الملائمة ، وهي شبه بخوذة رومانية ، وكنت تضعين في قدميك حذاء عالي الكعب أنيق الشكل ، كما كنت تضعين في أذنك فقس القرط القديم الذي تضعينه اليوم .

وكان لها الوصف البسيط الذي يرويهِ كولات نقلا عن الصورة المعلقة في مكتب القس أثر شديد البقع على بيسي ستروبر ، فلمحت شفتيها

قرتعدان ، وعينيها ساهمتين شاردتين ، وظلت برهة لا تقوى على الإجابة ،
وأخيراً غمغمت : ربما ففي ذلك الحين كنت لا أزال في مستقبل العمر اعني
بهندامي ، ولكن لماذا تحدثني عن ذلك الآن ؟

— لقد كنت جميلة وقتئذ ، ومع ذلك فقد تغير فيك شيء بفتنة ،
ولست اعني ان جمالك ذوى فجأة ، كلا .. بل انك انصرفت دفعة
واحدة عن الزينة والتجميل ، وفقدت كل رغبة في الظهور بمظهر الشباب
والفتنة .

انني اسألك للمرة الثانية يا مستر كوات ، لماذا تقول لي هذه الاشياء
اليوم .

لقد تبين من تحرياتي لدى اصدقائك ان هذا التبدل الفجائي اعتراك
منذ اليوم الذي عدت فيه من رحلتك الطويلة فوجدت ايفلين سوندرز قد
حملت حملك عند المحترم بيزلي .

وكانت الفتاة تصغي لهذه الكلمات وهي تحديق في الفضاء أمامها ، لاهثة
الأنفاس ، وما لبثت أن أجابت : لقد كنت مريضة وأشار علي الطبيب
ان امتنع عن العمل ، ومنذ ذلك الحين ساءت صحتي فلم تصلح بعد ذلك ،
ولكن ما علاقة هذا كله بالقضية ؟

— متى تركت مركزك كسكرتيرة للقس بيزلي .

— منذ نحو خمس سنوات ، كنت مريضة وفي حاجة إلى الراحة ، وقد
نصحني هو نفسه بالرحيل .

— إلى اين ذهبت ؟

— لدي اصدقاء لي في دنفر ، كلارا كولبي وزوجها .

- ثلاثة أشهر أو أربعة .

- لا ريب انت كنت تعرضين نفسك على طبيب هناك ، فماذا قال عن مرضك ؟

- انهيار عصبي ، وفقر دم .

فنهض كولات وسار نحوها سيراً وثيداً ، ثم قال :

- لست أريد ان أجرح شعورك يا مس ستروبر ، ولكن امسا كنت تكرهين تيموثي بيزلي ؟

- كلا .

- انني أعرف انك كنت تقرأين الخطابات التي كان يتبادلها مع ايفلين سوندرز خفية ، وقد كتبت الى شادويك منذرة ، والى ايفلين محذرة من خطر يتهدهدها ، فلماذا ؟ يجب ان تجيبي على هذه الاسئلة .

- لا يمكنني .. ومع ذلك فاني لا افهم .

فمضى كولات نحو الحجرة المظلمة وفتح بابها على سمته قائلاً : واكثر من ذلك فاني استطيع ان أريك الآثار التي تركتها اصابعك على جدار هذه الحجرة .

فهمت الفتاة في صوت مبحوح وقد اتسمت حدقتها رعباً :

- كلا .. كلا .. يا الهي ! رحمة بي ، دعني أذهب يا مستر كولات .. دعني .

ولكن الرئيس استطرد وهو يمسك بكلتا يديها ؟

- انك تخفين عني شيئاً ، واني على يقين من ذلك ، فصارحيني بالحقيقة

- كلا .. كلا .. لن اقول لك شيئاً قط .

ومدت ذراعيها إلى الإمام مستنجدة ثم انخرطت في البكاء فتركها
كولت برهة قبل ان يقول مستطرداً : انك لم تذهبي إلى دنفر ، بل إلى
نورفولك .

فكفت الفتاة عن النحيب بغتة ، وراحت تحديق النظر إلى كولت
كالمصهوقة ، فأردف :

- لا جدوى من الكذب يا مس ستروبر ، اقتفينا أثرك منذ بدء التحقيق
وعرفنا أشياء كثيرة عنك ، منها انك تقترين على نفسك لأن أعباء باهظة
تثقل كاهلك .

- أتوسل اليك ان تكف عن ذكرها يا مستو كولت ، فليس ذلك من
العدل في شيء ، لقد أرهقت نفسي بالعمل وأفنيت فيه قواي دون ان أمتنع
عن أية توضيحية .

- ألا زلت تصرين على أنك لا تكرهين القس بيزلي ؟

- اقسم انني لم ابغضه قط .

- حق بعد أن حاول قتلك ؟

- ما الذي يدعوك إلى هذا القول ؟ انني لا أفهم ما تقنيه .

- لقد أعطاك بيزلي عقاراً ، ولكنك لم تتناوليه ، وخيراً فعلت ، إذ
كان سما زعافاً ، هل تجرئين الآن على الإنكار ؟

- رباه ! رباه ! رحمة بي .

وعاد كولت يمسك بكتفها في قوة وهو يقول :

- انني لا أريد أن أعذبك يا صغيرتي ، ولكن ليس من حقك ان

تناهضي القانون ، واني اسألك للمرة الأخيرة : هل انت على استعداد لأن
تخبرينا بما تعرفينه عن هذه الجريمة ؟

— كلا .. لا أستطيع .. افضل الموت ..

وعندئذ سار كولت الى الباب ففتحه وفادى المفتش لنيجل : ثم قال
للفتاة : هل لك ان تنظري الى هذا الباب يا مس ستروبر ؟

فأطاعت التمسة ورفعت عينها لترى أمامها امرأة طويلة تمسك في يدها
بطفل صغير في نحو الرابعة من عمره ذي شعر اشقر مجعد ، كان يفرك
عينيه وهو ينظر الى كولت في حيرة دون ان يرى أحداً غيره إذ أغلق
الباب فجأة فحجب عنا المرأة والفلان .

وكان بيبي ستروبر قد اندفعت الى الامام كنمرة موحشة ، ولكن
كولت تلقاها بين ذراعيه وهي تصيح كالمجنونة : ولدي ، ولدي ، ماذا
تريدون ان تصنعوا بصغيري ؟

— فحملها كولت إلى الأريكة .. وعندئذ كفت عن النضال بغتة وظلمت
برهة جامدة بين ذراعيه بلا حراك ، بينما كان يقول لها في رفق :

— لا تخشى شيئاً يا ابنتي ، فان ابنك في أمان بين يدي البوليس ..
ولكن ماذا عسى ان يصيبه إذا اضطرت إلى القبض عليك ؟ فكري جيداً
في مستقبل ابنك ، واذكري لي الحقيقة ، فغمغمت الأم التمسة : تعرفون
كل شيء .

كانت بيبي ستروبر ، وهي تروي لنا قصتها ، لا تناضل في سبيل
نفسها ، وانما في سبيل ابنها ، فقد وعدتها كولات بأن تذهب اليه متى
فرغت من قصتها ، وعندئذ قوي عزمها ، وجلست على الأريكة تنظر اليها

واحداً بعد الآخر ، وقد شحب وجهها حتى حاكى الأموات ، وفي صوت خافت متهدج بدأت تقول :

عندما غدوت سكرتيرة للمحترم بيزلي ، كنت أعبدته ، دون ان يكون لي مطمع سوى ان أعمل من أجله ، وأعيش في ظله ، فما ان مضت أيام قلائل ، حتى أدركت أنه لم يكن سعيداً في داره ، إذ كانت مسز بيزلي تدخل عليه في المكتب بين لحظة وأخرى لتعطي عليه أوامرها ، وتفرض عليه آراءها . ولكنه رغم ذلك لم يكن يفكر في الانفصال عنها وهي شريكة حياته ، وشريكته في مطعمه الوحيد وهو ان يغدو مطراناً ، ولكني وأنا البريئة التمسعة وقتئذ ، خلته يعاني خشونة هذه المرأة وقسوتها ، ويحتاج الى من يوليه عطفاً وحناناً ، وانت تعرف الى اين قادتني هذه الأوهام وكنت في سن ادرك معها حقيقة الأمور ونتائجها ، فلم أفكر لحظة في ان أعكر صفو تلك الأسرة ، ولم أطمع البتة في الزواج من القس ، بل كانت كل سمادتي في ان أعيش بالقرب منه ولكنني كنت من البلاهة بحيث ظننت أن ذلك يمكن ان يدوم طويلاً ، وذات يوم واجهت الحقيقة الواقعة ، وتبينت انني سوف أغدو أما ، فأخبرته بذلك ، ولكنه تلقى النبأ على اسوأ ما يتلقاه انسان ، ومضى الى حد اتهامني غدرت به لأضعه في مركز دقيق ، وليمكنني ان أمل عليه إرادتي ، ومنذ ذلك اليوم بدأت متاعبي ، ولم تمض أيام قلائل حتى وضع في يدي علبة من الحبوب قاتلاً انها سوف « تصلح الأمور » فقبلتها منه دون اعتراض ، ولكنني في قرارة نفسي كنت قد عولت علي ان لا آخذ شيئاً منها ، لا رغبة أو شكاً في حقيقة مقصده ، ولكن لانني أردت هذا الجنين ، ثمرة حبنا العظيم الباهر ، فما الذي ينبغي لي إذا أنا قتلت ذلك الغلام ؟ لا شيء ، في حين انني كنت اشتهي ان أغدو أما رغم بيزلي ورغم كل شيء .

وأخبرته انني افضل مغادرة المدينة ، وأخذ إجازة طويلة ، فنصح لي

بالرحيل بلا إبطاء ، وكان فرسه بهذا القرار عظيماً ، رغم محاولته إخفاءه ،
سافرت إلى نورفولك حيث ظلمت إلى أن وضعت ابني ، وكنت أتحدث مع
المرضة ذات يوم ، فأخبرتها عن الحبوب التي كنت أريد ابتلاعها فطلبت
أن تراها ، ولا ريب أن رجالك قد تحدث إلى هذه الممرضة يا مستر كوكلت
فإنها بعد قليل أخبرتنني بأن كلا من هذه الحبوب تحوي جرعة كبيرة من
السم تقتضي على المرء بعد ساعات قلائل ، وكان ابني يرقد في مهد إلى
جانبي ، عندما أغمي علي ، ولا أدري كم لبثت على هذه الحال ، ولكنني
عندما أفقت ظلمت طويلاً مسلوكة اللب أفكر في عمق الهاوية التي كنت
على وشك أن أتردى فيها ، وفي ذلك اليوم أيضاً تبينت مدى ندالة الرجل
الذي أحببته ، وشكرت الله إذ خرجت على قيد الحياة من هذه المغامرة
الفظيعة ، قلما عدت إلى نيويورك أودعت ابني داراً خاصة لكفالة الطفل ،
ورحت أبحث عن عمل لنفسي حتى استطيع الانساق عليه دون أن يعرف
أبواي شيئاً .

وكانت إيفلين سوندرز قد حلت محلي لدى المحترم بيزلي ، كما أنني لم
انقطع عن الكنيسة ، وكانت أول مرة ذهبت بعد عودتي في أحد من
شهر فبراير ، فجلست في مكاني الممهود ، ورآني القس في اللحظة التي بدأ
فيها صلواته ، فاجفل كأنه رأى شيئاً ، فإنه عندما انقطعت أخباري كان
قد اطمأن إلى موتي ، وما كان ينبغي أن يخشى شيئاً من فاحيتي ، لأنني
كنت قد عولت على ألا أ تدخل في شؤونه ، حتى بعد أن أدركت أن
إيفلين سوندرز قد حلت محلي في كل شيء ، ولا ريب أنك تفهم ما
أعنيه .

وكان أول ما خطر لي هو أن أحذر إيفلين ، وأبكني عدلت عن ذلك
لعملي أنها امرأة متزوجة وليس لي أن أ تدخل في شؤونها ، فظلمت الحياة
تمهي مادة ناعمة أكثر من سفتين بالنسبة لنا جميعاً ، وكنت قد اعترفت

لوالدي بالحقيقة ، فأرادا ان يتبنيا الطفل حتى يمكن ان يعيش في منزلنا وفي الوقت نفسه كان بيزلي وعشيقتة الجديدة بنعمان بحبهما في حذر وحرص ، ولم أكن أفكر فيهما البتة عندما تسرب سرهما فجأة ، واضطرت ايفلين الى ترك منصبتها فخلقتها فيه ايمما هيكس فسكنت الاسن ، وعام الهدوء يشمل الابرشية حتى شهر فبراير الماضي ، ففي ذلك الحين علمت ، بأمرين تبينتا فيهما ما ينذر بالخطر الداهم ، أولهما ان امرة القس كانت تسمى حديثا لتحصل له ترقية كبيرة ، والثاني ان ايفلين كانت تظن نفسها حاملا ، ولم يكن سرا ان ويلي سوندرز ، منذ ان أصيب بذلك الحادث الذي قسم ظهره من أعوام مضت ، لا يمكن ان ينجب اطفالا ، فاذا وضعت ايفلين طفلا كانت فضيحة مدوية في الابرشية كلها .

فسألها كولات : وكيف علمت ان مسز سوندرز تظن نفسها حاملا مع ان الطبيب أثبت فيما بعد انها لم تكن كذلك ؟

— كنت ذات يوم أمببط الدرج الصغير خلف الأرغن فسمعتهما يتحدثان عن هذا الأمر دون ان يراني ، وما كان لي ان ا تدخل لولا ان رحمت ارتجف كلها فكرت فيما تتعرض له ايفلين من خطر ، فقد أراد بيزلي ان يمس لي السم لانني كنت حاملا ، ولا ريب أنه سيعيد الكرة مع تلك المنكودة ! وعندئذ كتبت خطابا الى مسز شادويك ، وآخر الى ايفلين ، وقد كان ذلك طيشا مني ، ولكنني بهذه الوسيلة انقذت ايفلين دون أن يشك أحد في امري ، وبعد قليل اخبرني ايمما هيكس انها تعتقد ان بيزلي وايفلين يدبران خطة للفرار معا ، وكنت أعرف التعس جيدا بحيث أدرك أنها خدعة منه ، ووسيلة لكسب الوقت ريثما يمسد في هدوء عدته لعمل حاسم ، وإذا كان قد أخذ تذكره واحدة على البخرة فلنفسه كي يركن الى الفرار إذا ما تحولت الامور ضده واضطر الى الهرب .

ودفعتني اقوال ايمما هيكس الى التجسس على الحبيبين ، كنت قد رأيتهم

مرة ، وأنا مختبئة خلف الأرغن ، يضع خطابا في فجوة في الجدار خلف الكتب القديمة ، وقرأت خطاباتهما جميعاً ، وأنا عازمة على التدخل إذا ما أحسست بالخطر يهدد إيفلين ، وانتهزت فرصة زيارتي لها ذات مرة فأخذت مفتاح منزل سانجستر تراس وصنعت مفتاحاً مطابقاً له .

وبعد فترة من الرقابة الدقيقة ، فهمت من خطاباتهما ما يقطع بصحة ما سمعته من إيمان هيكس عن مشروعهما للفرار ، فسوف تزعم إيفلين أنها في حاجة إلى السفر عند إحدى شقيقاتها لتبديل الهواء ، ولكنها في الحقيقة كانت ستقابل بيزلي هنا .. ثم يبحران معاً على إحدى البواخر التي ترفع في الليلة نفسها إلى الصين ، وهذا ما كان يزعمه لها ، ولكنها كنت أرتعد بمجرد التفكير في المصير الهائل الذي ينتظر المرأة المسكينة منذ اللحظة التي تغدو فيها بمفردها ، بعيدة عن أسرتهما ، بسين برائن ذلك الوحش في منزل منعزل كهذا .

فاعتزمت أمراً ، ذلك ان أحضر أنا الأخرى إلى هذا الموعد ، لأحاول ان أنقذ إيفلين من الخطر الذي تهددها ، وكنت اتوقع ثورة عنيفة من بيزلي عندما يراني أ تدخل بينه وبين إيفلين وفي الوقت نفسه لاحظت ظاهرة غريبة غير مألوفة في الحجرة ، إذ كانت أرضها مفروشة ببساط كبير من الشمع الاسود السميك ، ولو أنني وقتئذ لم أدر لهذه الظاهرة كنهما أو علة .

وكانت الساعة قد شارفت الثامنة عندما سمعت الباب الخارجي يفتح ، فانتابني بغتة ذعر هائل فظييع ، فقد حاول بيزلي مرة ان يفتلني ، فما الذي يمنعه من معاودة الكرة ؟ وغمرني العرق البارد ، وتخاذلت قواي ، وغلبني الجبن عن تنفيذ ما هممت به ، فأسرعت أخفيت في الحجرة المظلمة ، على ان انجو بحالدي عندما يغادران المنزل ، وكانت إيفلين تترنم في الطابق

الاسفل بصوتها الرخيم ، كأن الدنيا بأسرها تشاظرها ما هي فيه تلك اللحظة من سعادة وهناء ، ثم فتشح الباب من جديد وسمعت صوت بيزلي يهتف « اين انت يا ايفلين ؟ » فهرعت المنكودة اليه ، وعندئذ سمعت رنين القبلات ثم وقع اقدامها على الدرج .

وروعي ان وجدتهما يسيران صوب هذه الحجرة ، فحاولت عبثاً أن أوصل الباب ، ولكن كان بغير مزلاج وأبى الا ان يظل موارباً . فأيقنت أني في حكم الهالكين ، إذ لن تمضي لحظة حتى يكتشف الحبيبان مكاني .

وقاد بيزلي ايفلين نحو النافذة ، ثم سألهما : « هل أحضرت الخطابات معك يا عزيزتي ؟ »

فأجابته : « نعم .. تلك التي احتفظت بها ، أما الأخرى فقد اتلفتها منذ بعيد ، ولكن لماذا طلبت مني ان أحضرها الليلة ؟ » ، فتناول الحزمة الصغيرة التي قدمتها اليه ووضعها في جيبه ، وقد أخذت منه فيما بعد عدا قطعة صغيرة من خطاب وجدتها أنت يا مستر كولت .

وبعدئذ تحول نحو صديقته . فبدأ لي مظهره غريباً ، وتبينت في تلك اللحظة فقط أنه يرتدي قفازاً من الجلد على الرغم من أن الليلة كانت شديدة القيظ .. ثم قال ؟ هل تؤمنين بالله يا ايفلين ؟

— لماذا تسألني هذا السؤال وأنت تعلم انني مؤمنة كل الايمان ؟

— اذن اغمض عينيك ، واتلي بعض الصلوات في سبيل راحت نفسك .

فأبدت المسكينة دهشتها من هذا الكلام ، ولكنه عاد يقول : اتلي صلواتك كما قلت لك .

فارخت اهدائها ، وضمت يديها الى صدرها ، وكنت ارقب المنظر من

ثغرة الباب ، فلما أدركت حقيقة ما يجري أمامي ، كان كل شيء قد انتهى .

فبينما كانت المنكودة تنغمم بصلاواتها ، بحنية الرأس مغمضة العينين ، مد تيموثي بيزلي يده في جيبه وأخرج مسدساً صوبه الى قلبها ، ثم أطلق النار ، فهوت على الأرض وعلى شفيتها كلمة « أمين » وسط بركة من الدماء .

وكان الذعر قد بلغ مني كل مبلغ بحيث ايقنت انني لو أتيت بأقل حركة ، فسوف اشاطر ايفلين سوندرز نهايتها المروعة ، وظل بيزلي لحظة بلا حراك ثم القى المسدس من يده وركع بجوار ضحيته ليستوثق من موتها ، ولن انسى ما حييت تلك الابتسامة الشيطانية التي ارتسمت على شفتيه ، في هذه اللحظة التي قضاهما ساكن الحس بجوار عشيقته .

وبعد ذلك استوى على قدميه ، ثم سار نحو باب الحجرة التي كنت بها ، فخيّل الي ان نهايتي قد دنت ، ولكنه مر أمام الباب دون أن يقف .. وبعد قليل رأيته يعود ثانية ، وفي يده سكين كبيرة شديدة البريق ، وليس في طائقي أو طاقة البشر ان يحصى من ذاكرتي هذا المنظر الهائل يا مستر كولت ، كلا ، بل انه ما من امرىء سبق ان وجد نفسه في حال كهذه الحال التي كنت فيها .

كان الوحش يلهث بصوت مسموع ، فأدركت غايته في مثل لمح البرق ، أدركت انه سوف يقطع الجثة اربا حتى يسهل عليه الخلاص منها ، وبهر عيني وميض السكين وهي تهوى على عنق ايفلين التمسمة ، فما استطعت ان أكتم الصيحة التي انبعثت مني برغمي ، فأدار التمس رأسه سريعاً ، ونهض من مجشمة ، وراح ينظر حواليه وهو يزجر كالوحش المتأهب للافتراس وكنت قد فقدت السيطرة على حواسي ، فاندفعت من باب الحجرة دون ان انقطع عن الصياح ، وأنا اتوسل اليه ان يكف عما يفعله ، وبوغت برآي ،

فشحب وجهه ، ولكنه ظل يرمقني لحظة بعينين جامدتين ، ثم خطا خطوتين صوبي ، ففهمت أن ساعتي قد حانت .

والكنني تذكرت ولدي ، فأمدتني هذه الذكرى بقوة عجيبة ، وكان المسدس تحت قدمي فتنازلته في حركة خاطفة وأمسكت به بكلتا يدي ، وصوبته نحوه راجية ان يتراجع الى الوراء إذا كان متشبثاً بالحياة .

ولكنه ظل يذنوني ، وقرأت في عينيه نية القتل ظاهرة جلية .. وعندئذ أطلقت النار يا مستر كوات .. فهوى كالصخرة السماء فوق ايفلين .

وتوقفت بعيني ستروبر عن المضي في قصتها ، ووضعت وجهها بين ذراعيها وراحت تذبذب نشيجاً اليماً .. استطردت بعد قليل في صوت مبحوح :

— ولا ريب انني قد أغمي علي ، فلما عدت إلى الصواب ، وجدقني أرقد بين جشتين ، كنت كأني فريسة كابوس فظيع ، وخيل لي أنها أيضاً سوف ينمضان من مرقدما مثلاً فعلت ، وجن جنوني ، فأسرعت الى التليفون ودعوت مستر جيرالد كيرتنوود للحضور سريماً الى رقم ١٣ سانجستر تراس حيث تجري أمور هائلة ، فلم تمض دقائق حتى كان هنا ..

فسألها كوات : هل أتى بمفرده ؟

— نعم .. فقدته إلى هذه الحجرة حيث ظل ينظر الى الجشتين دون ان يفوه بكلمة واحدة ، ثم أخذني إلى الطابق الأسفل ، حيث رويت له ما حدث ، وفيما نحن هناك دوى جرس الباب الخارجي ، فانتابنا الذعر خشية ان يكون أحد الجيران قد سمع طلقات الرصاص فدعا رجال البوليس ، وفي ذلك ضياعنا ، لأنه ما من أحد يمكن أن يصدق ما نروييه ، ولكنه

لم يكن البوليس ، وانما مسز بيزلي وأخاها بادنجتون . وكانت زوجة جيرالد قد سمعت الحديث التليفوني بينه وبينني فأخبرت اليزابث التي أصرت على الحضور بنفسها لترى ما يحدث في سانجستر تراس .

وغدونا اربعة الآن نتأمل الجثتين الغارقتين في الدماء ، فركعت مسز بيزلي على الأرض ونزعت ساعة زوجها وخاتم زفافه ، وكانت ترتدي معطفاً طويلاً ، فلوثت الدماء جزءه الاسفل .

وقولى جيرالد القيادة ، فقال انه لا ينبغي ان يعرف أحد قط في اية ظروف لقي المحترم بيزلي وايفلين سوندرز حتفهما .

ووجد القارب مخفياً بين الاعشاب تحت النافذة الخلفية فقمنا جميعاً الغرض البشع الذي أعد له .. وعلى الرغم من اعتراض الأرملة ، قولى جيرالد وأخوه نقل الجثتين ، الى الحديقة ، ثم طوى البساط ، وغسل السكين ثم جرد القارب الى الشاطئ ووضع فيه الجثتين .. وظللنا نعمل جميعاً أكثر من ساعة في إزالة كل أثر للمأساة ، فألقينا بالمسدس وصندوق آلات النجار في النهر ، وبساط المشمع ، ولعل اشد الملاحظات ايلاًماً هي تلك التي وثبت فيها هرة ايفلين الى القارب ، بينما كان جيرالد يدفعه في النهر بعصاه ، وقبل ان نفترق ، اقسمنا جميعاً على ان يموت هذا السر معنا إلى الأبد .

وصممت الفتاة لحظة ، ثم نظرت الى كولت في وجل وقالت : لقد عرفت كل شيء يا مستر كولت ، فماذا انت صانع بي ؟

فمضى رئيس البوليس نحوها ، وربت على كتفها ، ثم أخذ يديها الباردتين بين يديه وقال : يا ابنتي العزيزة .. انني اهنتك من كل قلبي اذ وجدت في نفسك الجرأة على ان تقصي علينا الحقيقة ، فدعي الأمر لي .

وفتح باب الحجرة ، وقاد الفتاة بنفسه الى حيث كان ابنها ، ثم عاد فجلس ازاء دوجرتي وقال :

— ان مركز الفتاة سليم يا دوجرتي ، وسوف تبرىء المحكمة ساحتها
إذ انها كانت في حالة دفاع عن النفس ، غير ان طفلها سيشب من الآن
وهذه القضية تلازمه ، فما قولك في ان تسافر الفتاة به الى اوروبا ، على
ان يظل اعترافها هذا محفوظاً بالسجلات السرية لادارة البوليس ؟

— لا بأس يا كولت . انك لست بمن يرد لهم طلب يا عزيزي .. لقد
حفظت قضية بيزلي — سوندرز ، لعدم معرفة الفاعل !

ومع ان الصعف ظلت شهوراً تسلق ادارة الشرطة بالسنة حداد ، إلا
ان كولت ظل صامتاً لا تحركه هذه الحملات وكان عزاؤه الوحيد انه ظل
مدة طويلة يتلقى في مثل هذا اليوم من كل عام صورة غلام صغير ذي شعر
اشقر مجعد تبدو في محياه علائم البشر والهناء .

[تمت]

كتب صدرت لاغاثا كريستي

مغامرات بوارو	موعد في بغداد
جزيرة المهربين	جريمة في العراق
رصاصه في الرأس	القضية الكبرى
اعلان عن جريمة	ساعة الصفر
الكأس الاخيرة	الحب الذي قتل
مرآة الميت	التهمة البريئة
جريمة في بيت الطالبات	نقطة الدم
التضحية الكبرى	جريمة في القصر
جريمة ملاك	القاتل الخفي
سر الجريمة	غادة طيبة
الوصية المفقودة	مقتل السيد اكرويد
ذات القناع الاسود	جريمة في وادي النيل
الرسائل السوداء	الجريمة الكاملة
اختطاف رئيس الوزراء	جريمة في مطعم اللوكسمبورغ
جنون الانتقام	الجريمة المستحيلة
موعد مع الموت	الشيطان امرأة
القاتل والمقتول	جريمة الكوخ
الشبح القاتل	جريمة على ضفاف النيل
	اخطاء القضاء

كتب صدرت

طانيوس عبده		المتنكرة الحسنة
»	»	مروضة الاسود
»	»	ضحايا الانتقام
»	»	ام روكامبول ١/ ٤
»	»	كابيتان
»	»	عشاق فينيسيا ١/ ٢
»	»	بردليان ١/ ٣
»	»	الملكة ايزابو ١/ ٢
نقولا رزق الله	»	فرنسوا الاول
»	»	دار المعائب
»	»	بعد الطلاق
»	»	شقاء الغرام
»	»	ضحية الجريمة ١/ ٢
»	»	جناية بولونيا
»	»	الوثاق القاتل
»	»	خمس وحكم
»	»	الجزاء العادل
»	»	عاقبة الخيانة
»	»	الناس بلاء الناس
»	»	حرب السبعين
»	»	المرأة المفترسة
بجان دولاهير		

خليل حنا تادر

»

»

»

»

البيروت مورافيا

»

»

سومرست موم

لحظة ضعف

القبلة علم فن دراسة

ليلة من نار

الزوج الاحتياطي

امرأة تنتظر الحب

الانتباه

السأم

امرأة من روما

خطيئة امرأة



General Circulation of the Alexandrian Library
Bibliothèque d'Alexandrie

